# نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة

# الحنفي – المالكي – الشافعي – الحنبلي

# وانتشارها عند جمهور المسلمين


تأليف

العلامة المحقق

احمد تيمور باشا

اعتنى به

محمد بن إبراهيم الحسين



مؤسسة الرسالة ناشرون

**الإهداء:**

إلى روح أبي.....

إليك أيها الروح الطاهر: ذكرة خالدة كخلودك.....

ذكرى الابن لأبيه.....ز

والأب يحيا عمره فإن قضى.....

لم يمت من عاش في بنيه.....

ولدك

محمد

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي امر بالتفقه في الدين وأكد، وجعله علامة على الخير بنص الحديث المسند، وحفظ شرعه من التغيير والتبديل الحفظ المؤبد، ونقله من السلف العدول من كل خلف كريم أمجد، احمده سبحانه على ما من به من التوفيق وأرشد، من سلوك الطريق القويم الأحمد، والاقتداء بمتابعة أحمد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وقد أفلح من وحّد، وأشهد أن محمداً عبداً ورسوله خير البرية أرومة وأزكاهم محتداً، صلى الله عليه وعلى آله وإصحابه الذين حازوا قصب السبق في الدين، وتلك فضيلة لا تجحد، وسلم تسليماً كثيراً دائماً لا ينفذ (1).

أما بعد:

فقد انحسرت موجة التاريخ عن أربعة مذاهب معروفة قدر لها الشيوع والانتشار، فدونت وجمعت ودرسها طلبة العلم في جميع البلاد والأمصار، وما ذلك إلا لتميزها وشفوفها عن غيرها من المذاهب والفرق حيث تكونت من الاجتهاد والإخلاص والنية المحتسبة، فكانت أعظم ذخيرة للإسلام، وهي بعد ذلك أعظم منا دوّن من قواعد وأحكام التعامل الإسلامي بين الآحاد وبين الجماعات والدول.

ولقد قدرّت الأجيال من بعدهم ثمرات ما بذلوا ونقلها تلاميذهم جيلاً بعد جيل، وتدارسوها وخرجوا عليها، وأقاموا على ما ورث منها غروساً يانعة طيبة من العلم، صارت كدوحات تظل من يستظل بها.

وهم في كل ذلك الذي صنعوا، لم يخرجوا عن حدود كتاب الله تعالى، ولا سنة رسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ولم يتحيفوا طريقهم، ولم يسلكوا غير سبيل المؤمنين.

ووفاء وتقديراً لجهود أولئك الأئمة المخلصين قام كثير من أتباعهم بكتب أخبارهم وجمع مناقبهم، فصدر في ذلك مجموعة كتب نفيسة على الأخبار والفوائد والمسائل المنثورة بين طياتها.

إلا أن هذا القرن الأخير، القرن العشرين – الذي نعيشه اتجهت الدراسات فيه اتجاهاً جديداً ونحت منحى أعمق وأشمل، فقامت بإعداد الدراسات حول تاريخ هؤلاء الأئمة ومذاهبهم بطريقة علمية تأصيلية أعطت للفقه ولعلومه طابعاً جديداً وسمات عصرية.

ومن هنا يأتي كتاب العلامة الأستاذ أحمد تيمور باشا (نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة وانتشارها) الصغير في حجمه الكبير فيما اشتمل عليه من فوائد وتحقيقات يعتمد عليها ويطمأن لها، وخاصة أنه كان طيلة مسيرة عمله في الكتاب يرجع الكلام إلى مصادره، والحقائق إلى ينابيعها من غير تفريط ولا إفراط.

فكانت هذه الدراسة الشيقة الجادة معلماً إسلامياً ثابتاً يقطع الطريق على أدعياء العلم وأعدائه من المستشرقين وأذنابهم، ويكشف زيفهم وادعاءاتهم، حيث وجدوا في هذا التعدد المذهبي وما تبعه مرتعاً خصباً لينفثوا سمومهم، ويكبدوا للامة، ويطعنوا في دينها، ويبطل مكرهم تحت جرأة نصوصه وقوة حجته وعظيم صنعه.

هذا، وقد سبق لهذا الكتاب القيم أن نشر لاول مرة في (مجلة الزهراء) التي كان يصدرها العلامة محب الدين الخطيب بالقاهرة، ثم نشره مرة ثانية في رسالة مستقلة سنة (1344–1926) م، وطبع في المطبعة السلفية بالقاهرة، وكذلك الطبعة الثالثة سنة (1351 هـ – 1933 م) أما الطبعة الرابعة فقد أشرفت عليها لجنة نشر المؤلفات التيمورية وطبعتها في مطابع سجل العرب بالقاهرة سنة (1379 هـ–1969 م).

فكان اعتمادي في إخراج هذا الكتاب وخدمته، على الطبعة المستقلة سنة (1344هـ – 1927م)، وعلى طبعة القادري التي وقفت عليها مؤخراً.

وقد علقت على الكتاب بما دعت إليه حاجة الإيضاح والإفادة، وأما تعليقات المؤلف – رحمه الله – فهي مميزة عن غيرها بكونها مختومة بـ (تيمور).

وألحقت ملحقاً في أماكن انتشار القراءات اليوم.

وفي الختام، الله نسأل، وبأسمائه وصفاته نتوسّل، أن يجنبنا الخطأ في الأقوال والأفعال، وتزيين الشيطان لنا سوء الأعمال، وأن يعيدنا من اتباع الهوى، وركوب ما لا يرضى.

وكتب

أبو إبراهيم محمد بن إبراهيم الحسين

إمام وخطيب جامع البتول

حلب – سوريا

**الهوامش:**

(1) هذه الخطبة اقتباس من خطبة الشيخ ابن حمدان لكتابه (هداية الأريب الأمجد).

**ترجمة الصنف**

**أحمد تيمور**

**(1288-1348) هـ**

الأسرة التيمورية في مصر، كردية الأصل، قدم جدها الأول تيمور بن محمد إسماعيل بن علي كرد، من الموصل، في عهد محمد علي باشا الكبير، واتصل به اتصالاً وثيقاً، فكان من قادة جنده ومن كبار ولاته.

وفي عهد المغفور له الخديوي إسماعيل باشا عرف إسماعيل تيمور باشا بن محمد تيمور، والد صاحب الترجمة، بفضل ونبل فولي رئاسة الديوان الخديوي، وكان من خاصة صاحب الأمر بمصر.

وقبل وفاة إسماعيل تيمور باشا، بنحو مئة يوم، ولد له نابغة التيموريين (أحمد) المترجم له وذلك سنة (1288).

فهو – إذن – أحمد بن إسماعيل بن محمد بن تيمور بن محمد بن إسماعيل بن علي كرد.

نشأ أحمد يتيماً، كفلته أخته عائشة التيمورية الشاعرة المشهورة، ودرس في بيته مبادئ العربية والفرنسية والتركية والفارسية، ثم أدخل مدرسة مارسيل الفرنسية، وكانت خاصة بأبناء الأعيان، فقضة فيها خمس سنين أتقن خلالها للغة الفرنسية وأخذ العلوم اللسانية والدينية والعقلية من علماء عصره، ومنهم الشيخ رضوان المخللاتي، ثم لازم الشيخ حسن الطويل أعظم علماء عصره اثنتي عشرة سنة، ثم لازم الشيخ العدوي والشيخ الهوريني والشيخ الحسيني، وأخذ عن الشيخ محمود التركزي الشنقيطي، وعن الإمام الشيخ محمد عبده، وصحب العلامة الشيخ طاهر الجزائري ثلاث عشرة سنة.

تخرج أحمد بهؤلاء الأعلام فجمع بين الثقافتين، وربما زادت ثقافته العربية على ثقافته الغربية، فقد استخدم ثقافته العربية طول حياته، وما كانت ثقافته الغربية التي تثقفها في صباه إلا خادمة للثقافة الأخرى.

ونشأ متديناً عطوفاً على الفقراء، باراً بالضعفاء، يقيم الصلوات ويمارس شعائر الإسلام، ويتصدق في السر تقرباً إلى الله واحتساباً، يعطي من حرّ ماله المئات من الجنيهات، وهو مع ذلك يرمى بالبخل.

لم يطمح أحمد تيمور في خدمة الدولة على النحو الذي كان عليه أبوه وجده، بل شغل نفسه بتهذيبها وتعليمها، فكان كل يوم من أيام صباه يزداد علماً ومعرفة، ولما كان من خلقه الابتعاد عن الناس لم يجد حب الظهور والتمجيد والتعاظم مكاناً في قلبه، وغنما طمحت نفسه إلى ما هو أسمى من كل هذه المظاهر، طمحن إلى أن يكون عالماً، باحثاً، وخادماً أميناً لامته وتاريخها وأدبها، معالجاً أمراضها بترياق العلم وبلسم الفضائل، والمرء حيث وضعته فطرته وبيئته.

نشأ غرام أحمد تيمور بالكتب وهو طفل في المدرسة، وبدأ باقتناء المطبوعات، وما لبث أن أخذ يبتاع المخطوطات، ثم أقبل على اقتناء كل مهم يقع له من الكتب المخطوطة، فيشتريها ويطالعها، ويعلق عليها ويفهرسها ويبوبها، حتى كانت في نظامها وفهارسها غاية في الإحكام، وترك بآخر خزانته ثلاثة عشر ألف مجلد، نصفها مخطوط، وقد حوت من النوادر الشيء الكثير ومنها ما هو بخطوط مؤلفيها، أو مما قرئ عليهم وأجازوه، ومنها ما أخذه بالتصوير الشمسي من خزائن أوروبا أو استنسخه من خزائن الشرق، عمل في هذه الخزانة سنين طويلة ثم أوصى بان تكون وقفاً على أمته لتستفيد منها كما استفاد هو، وكان منذ جمعها لا يضن على باحث ولا طابع ولا ناشر من أبناء الشرق والغرب بإعارته ما يريد إذا أيقن أنه يفيد منها ويستفيد، ومن مكارم أخلاقه أنه قد يعير المخطوط وهو في حاجة إلى أن يكون عنده، وقد يعرض له إشكال يقتضي

الرجوع إليه السفر فيذهب بنفسه للمراجعة فيه عند من أعاره إياه، ولا يجوز أن يقول له: أعد إلي كتابي فقد طال مكثه عندك، وكرمه في هذا الباب ظاهر، وهو لخدمة العلم يخاطر بأعز الأشياء على قلبه، وقد يعادل ثمن المخطوط وزنه تبراً.

ولما شاعت دعوة أنصار القديم والحديث ودعوة الرجوع إلى الفرعونية والزهد في كل ما هو عربي آلى على نفسه أن لا يطالع من الجرائد إلا جريدة الاخبار لصاحبها أمين الرافعي رحمه الله لأنها تدافع عن الإسلام، وتقاوم الإلحاد المعبر عنه في لسان العصر بالجمود أو الرجعية.

وكان من عادته أن يتبسط في الحديث مع خاصته تبسطاً لا يخرجه عن حدود الأدب والدعاية البريئة والنكات والتنادر، ثم ينقلب إلى البحث في الكتب مطبوعها ومخطوطها وفي المؤلفين وما يؤلفون في الكتاب وما يكتبون يخوض في كل ذلك من الجد بذوق وشوق وتقدير وإنصاف، ويهتم كثيراً بأمر المسلمين والإسلام والعرب لا يخص مصر فقط بعنايته، بل يعنى بسياسة غيرها عنايته بسياستها.

وكان غرامه بصداقة رجال العلم والأدب من أهل عصره على اختلاف مذاهبهم يوازي غرامه بكتب علماء السلف، فهو يحب الأحياء كما يحب الموتى، ولما سكن الإمام محمد عبده في عين شمس اتخذ داراً في جواره مدة، ونقل إليها خزانة كتبه، فلما انتقام الإمام إلى جوار ربه اسودت الدار في عينيه فانتقل إلى جهة أخرى.

تولى أحمد تيمور أعمالاً علمية كانت في نظره ألذ من كل مظهر: كان عضو في مجلس دار الكتب المصرية، وعضواً في المجمع المصري، وعضواً في المجمع العلمي العربي، وقد خدم هذه المجامع والمجالس خدمات جليلة، وأحسن إلى مجمع دمشق أنواع الإحسان بمقالاته وأبحاثه التي نشرها في مجلته.

وبإهدائه أمهات من المخطوطات المصورة، وبمنحه مجموعة نفيسة جداً من النقود الذهبية والفضية والنحاسية والزجاجية انتهت إليه من جده وأبيه، وهي اليوم في متحف عاصمة دمشق، تنادي بلسان الحال أن أحمد تيمور كان يعطف على كل بلد عربي عطفه على مصر، وما أنشئت خزانة كتب في بلاد الشرق إلا كانت هدايا أحمد تيمور إليها أسبق الهدايا، وتنشيطه للقائمين بها أبلغ تنشيط.

ولنا أنشئ المجمع اللغوي الأول في مصر، وانضم إلى أعضائه كتب أنه انضم إليه من هب ودب، وأنه أميل إلى التشاؤم بعد أن سمع اقتراحات بعضهم بضم أشخاص اشتهروا بانتصارهم للعجمة وفتح الصدر لكل دخيل.

هذه صورة صغيرة من منازع أحمد تيمور وأخلاقه، بقي علينا أن نلم إلمامة خفيفة بتآليفه، وبها تتبين صورة علمه وأدبه، فأهم ما كتب: (معجم الألفاظ العامية المصرية) بيّن فيه أصول تلك الألفاظ واشتقاقها وما يرادفها من الفصيح، وهو من أفيد التآليف، يدل على تبحر مترجمنا في اللغة، وعلى بعد غوره في فنونها.

ومن تآليفه المطبوعة: (تصحيح أغلاط القاموس المحيط) و (تصحيح أغلاط لسان العرب) وهي رسائل تدل على دأبه وعبقريته ومعرفته الواسعة باللغة، هي بضع رسائل، وتعد من أهل الكتب، وقيمة التآليف بفائدتها وإمتاعها لا بطولها وعرضها وثقل حجمها وكثرة أوراقها، ومن كتبه المطبوعة رسالة في اليزيدية، واخرى في حدوث المذاهب الأربعة (1) وثالثة في العلم العثماني، ورابعة في قبر السيوطي، وخامسة في أبي العلاء المعري وعقيدته، وسادسة في الحلقة المفقودة في تاريخ مصر، وسابعة في الألقاب والرتب وغير ذلك.

ومن رسائله: التصوير عند العرب، والامثال العامية وهي خمسة آلاف مثل عامي، ولعب العرب، ونقد القسم التاريخي من "دائرة معارف فريد وجدي" وذيل طبقات الأطباء، والآثار النبوية (2)، ومفتاح الخزانة للبغدادي، وأعيان الشرق في القرن الثالث عشر، جعله ذيلاً لسلك الدرر للمرادي، ثم ألحقه بذيل في تراجم

أعيان أوائل القرن الرابع عشر، ومنها: نوادر المسائل أو معجم الفوائد والبرقيات، وهي كلمات تؤدي كل منها معنى جملة كاملة، إلى غير ذلك من رسائله ومقالاته وتحقيقاته مما نشره في (المؤيد) والأهرام والمقتطف والضياء والمقتبس والهلال والهندسة والسلفية والآثار والزهراء ومجلة المجمع العلمي العربي، ومنها ما نشر له بعد وفاته في (الرسالة)، إلى ما كان يكتبه في المناسبات.

فقلما تجد في مثل هذا الزمان رجلاً جمع مثل هذه الصفات وأحب العلم هذه المحبة الشديدة، وخدمة في نطاق طاقته هذه الخدمة، وهو في أصله من طبقة النبلاء وأرباب الثراء، فما أبطرته النعمة، ولا استهواه الغنى والجاه، وراح في كل أدوار حياته يبتعد عن الشهرة، والشهرة تلحقه كعادتها مع من لا يتطلبها، وربما كانت شهرته في البلاد الخارجة عن القطر المصري أوسع من شهرته هنا.

إن هذه الصيانة وهذه التقوى وهذا الرفق قلّ حتى في رؤساء الدين مثله، هذا مع اتساع الفكر لكل جديد، وفتح المصدر لكل بحث إذا لم يصادم العقل فيه النقل.

كان إماماً مدققاً في علوم اللغة والبيان، كاتباً نقي العبارة، يكتب على أجمل ما يكتب نبغاء المؤلفين دون تكلف ولا تصنع يحيط بالتاريخ الإسلامي عامة وبتاريخ مصر خاصة إحاطة واسعة، وقد رزق ذاكرة قوية، لا ينسى ما يقيد ولا ملا يقيد.

إن محصول الأستاذ أحمد تيمور في العلم لا يعد قليلاً إذا اعتبرنا جودة ما اتى به وقته، وإن غرامه بالكتب كان يتقاضاه صرف الساعات الطويلة أيضاً أكبرنا ما أتى به، خصوصاً إذا علمنا أنه كان يتولى كل أمر بنفسه حتى كتابة الفهارس، ولو نبغ مثله عند أمة غربية من الأمم الكبرى أو غيرها لكان اسمع في كل لسان، ورسمه في كل عين، ولكن هو الشرق يكبر الصغير، ويصغر الكبير، وينسى رجاله أو يتناساهم، لان الرجال فيه كثرة، وقد يستفيض شهوة من لا يحسن أكثر من استفاضة شهرة من يحسن، ولا يبجل في الأغلب إلا من دجل ودلس وعبث بعقول الناس، وكان وسطاً في قريحته (3).

**الهوامش:**

(1) وهو الكتاب الذي بين يديك.

(2) وهذا الكتاب سيطبع قريباً – بإذن الله – بتحقيقي.

(3) أنظر (الأعلام) (1/95–96) و (معجم المؤلفين) (1/166–167) والنهضة الإسلامية في سير اعلامها المعاصرين (2/5–18) (مجلة المجمع العلمي العربي (2/147، 289، 321) و (9/40–160).

## كلمة السيد محب الدين الخطيب (1)

## صاحب النشرة الأولى لهذا الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه التابعين، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن الشريعة الإسلامية جاءت بسعادتي الدنيا والآخرة لبني البشر جميعاً، وقد انتقل المصلح الأعظم صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، تاركاً للناس ما إن تمسكوا به لن يضلوا: كتاب الله وسنة رسوله (2)، لان فيهما تبيان كل شيء من الكليات العامة، وإرشاداً إلى أصلين آخرين من أصول التشريع، وهما الإجماع والقياس، وقد اعتمد على هذه الأصول الأربعة المجتهدون من الصحابة صلى الله عليهم وسلم ومن التابعين، واتخذوا ذلك ينبوعاً تكوّن منه الفقه الإسلامي، وغاية اتجهت إليها أنظار جميع المجتهدين في الفروع.

ولما كانت المذاهب الأربعة هي التي عم انتشارها في العالم الإسلامي، وكثر عدد الآخذين بها والمتبعين لها، رأى الأستاذ العلامة المحقق صاحب السعادة أحمد تيمور باشا، حفظة الله ونفع الأمة به أن يضع بين أيدي القراء خلاصة تاريخية لكيفية حدوث هذه المذاهب الأربعة وانتشارها في الأقطار، وذكر من انتشرت على أيديهم، مستمداً ذلك من أوثق المصادر وأصدقها، وقد تفضل بهذا البحث الممتع على (مجلة الزهراء)، فنشر في أوائل سنتها الثانية، ثم رأيت أن أفرده في رسالة مستقلة، تسهيلاً لطالبيه وتعميماً لنفعه.

**القاهرة 15 رجب 1344**

**محب الدين الخطيب**

**الهوامش:**

1) محب الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح الخطيب، عالم أديب، مؤرخ سياسي، ولد سنة (1303 هـ) بدمشق في حي القيمرية، وتوفي في القاهرة سنة (1389 هـ)، انظر ترجمته في نموذج من الأعمال الخيرية (ص 94–96) والأعلام (5–282)، و (تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر (2/847–862).

2) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله وسنتي)، اخرجه الحاكم في المستدرك (1/93)، والبيهقي في (السنن الكبرى (10/114) من طريق ثور بن يزيد الديلي، عن عكرمة عن ابن عباس وإسناده حسن.

**نظرية تاريخية في حدوث المذاهب وانتشارها:**

ونريد بها الأربعة: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، المعمول بها عند جمهور المسلمين إلى اليوم، وهي التي كتبت لها البقاء والتغلّب على سواها من مذاهب أهل السنة، كمذهب سفيان الثورية بالكوفة (1)، والحسن البصري بالبصرة (2)، والأوزاعي بالشام والاندلس وغيرهما (3)، وابن جرير الطبري (4)، وأبي ثور ببغداد (5)، وداود الظاهري في كثير من البلدان (6)، وغير ذلك من مذاهب فقهاء الأمصار.

وكانت الفتيا – قبل حدوث هذه المذاهب تؤخذ في عصر الصحابة عن القراء منهم، وهم الحاملون لكتاب الله، العارفون بدلالاته (7).

فلما انقضى عصرهم، وخلف من بعدهم التابعون، اتبع أهل كل مصر فتيا من كان عندهم من الصحابة، لا يتعدّونها إلا في اليسير مما بلغهم عن غيرهم، فاتبع أهل المدينة في الأكثر فتاوي عبد الله بن عمر، وأهل الكوفة فتاوي عبد الله بن مسعود، وأهل مكة فتاوي عبد الله بن عباس، وأهل مصر فتاوي عبد الله بن عمرو ابن العاص (8).

وأتى بعد التابعين فقهاء الأمصار، كأبي حنيفة ومالك وغيرهما ممن ذكرناهم ومن لم نذكرهم، فاتبع أهل كل مصر مذهب فقيهه في الأكثر.

ثم قضت أسباب بانتشار بعض هذه المذاهب في غير أمصارها، وبانقراض بعضها، فلم يطل العمل بمذهب الثوري والبصري لقلة أتباعهما، وبطل العمل بمذهب الأوزاعي بعد القرن الثاني وبمذهب أبي ثور بعد الثالث، وابن جرير بعد الرابع (9).

كما انقرض غيرها من المذاهب، إلا الظاهري فقد طالت مدته وزاحم الأربعة، بل جعله المقدسي (10) في (أحسن التقاسيم) رابع المذاهب في زمنه – أي في

القرن الرابع – بدل الحنبلي، وذكر الحنبلية في أصحاب الحديث (11) وعده ابن فرحون (12) في (الديباج) الخامس من المذاهب المعمول بها في زمنه (13)، أي في القرن الثامن، ثم درس بعد ذلك ولم يبق إلا الأربعة، ومذاهب أخرى خاصة بطوائف من المسلمين، لا يعدها جمهورهم من مذاهب أهل السنة، ولهذا لم نتعرض لذكرها.

وذكر ابن خلدون (14) ان الظاهري درس بدروس أئمته وإنكار الجمهور على منتحله (15) ولم يبق إلا في الكتب، وربما يعكف متكلفو انتحاله عليها لأخذ فقههم منها، فلا يحلون بطائل ويصيرون إلى إنكار الجمهور عليهم، ولم يبق إلا مذهب أهل الرأي في العراق، وأهل الحديث من الحجاز (16).

**الهوامش:**

1) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي، قال الحافظ ابن حجر في (التقريب) (2445): (ثقة حافظ فقيه، عابد إمام حجة...) توفي سنة (161 هـ) وله (64) عاماً، وانظر التوسع في ترجمته: (تهذيب الكمال) (3/217-221) و (سير أعلام النبلاء (7/229-279).

2) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد، الإمام التابعي الثقة المشهور، توفي سنة (110 هـ)، وقد قارب التسعين أنظر ترجمته في: (سير اعلام النبلاء (4/563-588) و (تهذيب الكمال) (2/114-121).

3) عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمرو، شيخ الإسلام وعالم أهل الشام، فقيه ثقة جليل، توفي سنة (157 هـ) انظر ترجمته في (سير اعلام النبلاء (7/107-134) و تهذيب الكمال (4/447-450).

4) الإمام المجتهد أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، قال ابن خزيمة: ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير، توفي سنة (310 هـ): أنظر ترجمته في: طبقات الشافعية الكبرى (3/120) و (وفيات الاعيان (4/191).

5) الإمام المجتهد أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي قال الحاكم: كان فقيه أهل بغداد ومفتيهم في عصره، وأحد أعيان المحدثين المتقنين، توفي سنة (240 هـ) انظر ترجمته في: (طبقات الشافعية الكبرى) (2/74-80) و (وفيات الاعيان) (1/36).

6) الإمام العلامة عالم الوقت داود بن علي بن خلف، أبو سليمان البغدادي المعروف بالأصبهاني مولى أمير المؤمنين المهدي، رئيس أهل الظاهر،

توفي سنة (270 هـ) أنظر ترجمته في (سير الأعلام النبلاء) (97/13-108) و (طبقات الشافعية الكبرى (284/2-293).

7) عن ابن خليدون (تيمور) أنظر: المقدمة، لابن خلدون (ص 494).

8) عن المقريزي، في خططه (142/4-143) و الديباج (ص 12) (تيمور).

9) عن (الديباج) (ص 13)، (تيمور).

10)محمد بن احمد بن أبي بكر المقدسي، المعروف بالبشاري، شمس الدين، أبو عبد الله، مؤرخ، رحالة، جغرافي ولد بالقدس، وتعاطى التجارة، فتجشم أسفاراً هيأت له المعرفة بغوامض أحوال البلاد، توفي سنة (390 هـ) انظر ترجمته في مقدمة محقق كتابه المطبوع (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم).

11) (ص44).

12)الإمام الجليل العلامة قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي، توفي سنة (799 هـ)، انظر ترجمته في: (الدرر الكامنة) (48/1) و (شذرات الذهب) (608/8).

13)الديباج المذهب (ص 13).

14)عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن جابر، الحضرمي، الإشبيلي، المعروف بابن خلدون المالكي، ولي الدين أبو زيد، ولد بتونس سنة (732 هـ)، وتوفي بالقاهرة سنة (808 هـ)، ترجم لنفسه في تاريخه (العبر) (327/7)، وترجم له الحافظ ابن حجر في (إنباء الغمر) (327/5) والسخاوي في (الضوء اللامع) (145/4).

15)جزم جماعة من الأصوليين بأن الظاهرية لا يعتد بقولهم مطلقاً، منهم أبو إسحاق الإسفرايني وأبو بكر الرازي، وابن بطال، وإمام الحرمين الجويني، وأبو حامد الغزالي، وأبو العباس القرطبي، والنووي، وابن دقيق العيد، وابن الملقن، أنظر (البحر المحيط) (472/4) و (طبقات الشافعية الكبرة) (289/2-291) و (سير أعلام النبلاء (104/13-107).

16)(المقدمة) لابن خلدون (ص 495).

**المذهب الحنفي**

هو أقدم الأربعة، وصاحبه الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان الكوفي صلى الله عليه وسلم، المولد سنة (80 هـ) (1) والمتوفى ببغداد سنة (150 هـ) على الأصح (1).

وكان منشأ هذا المذهب بالكوفة موطن الإمام، ثم انتشر في سائر بلاد العراق، ويقال لأصحابه: أهل الرأي، لان الحديث كان قليلاً بالعراق، فاستكثروا من القياس ومهروا فيه، ولإمامهم مقام في الفقه لا يلحق، شهد له بذلك أهل جلدته وخصوصاً مالك والشافعي.

ويذكر أصحاب طبقات الحنفية أن هذا المذهب شاع في بلاد بعيدة، ومدن عديدة، كنواحي بغداد ومصر والروم، وبلخ وبخارى وفرغانة، وبلاد فارس، وأكثر بلاد الهند والسند، وبعض بلاد اليمن وغيرها.

وفي (طبقات) للحنفية عندنا، نرجع أنها (المرقاة الوفية) للفيروزآبادي (2)، أن أصحاب أبي حنيفة الذين دونوا مذهب أربعون رجلاً منهم أبو يوسف (3) وزفر (4) وأن أول من كتبه أسد بن عمرو (5).

وفيها أيضاً أن نوح بن أبي مريم عرف بالجامع، لأنه أول من جمع فقه أبي حنيفة في قول، وقيل: لقب بذلك لجمعه بين علوم كثيرة (6).

ثم لما قام هارون الرشيد في الخلافة (7)، وولى القضاء أبا يوسف صاحب أبي حنيفة، بعد ستة سبعين ومئة، أصبحت تولية القضاء بيده، فلم يكن يولّى ببلاد العراق وخراسان، والشام ومصر إلى أقصى عمل إفريقية إلا من أشار به، وكان لا يولي إلا أصحابه والمنتسبين إلى مذهبه، فاضطرت العامة إلى أحكامهم وفتاواهم وفشا المذهب في هذه البلاد فشواً عظيماً.

كما فشا المالكي بالأندلس بسبب تمكّن يحيى بن يحيى بن كثير (8) من الحكم المنتصر (9) حتى قال ابن حرم (10): مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرئاسة والسلطان: الحنفي بالمشرق والمالكي بالأندلس (11).

ولم يزل هذا المذهب غالباً على هذه البلاد، لإيثار الخلفاء العباسيين الحنفية بالقضاء، حتى تبدلت الأحوال، وزاحمته المذاهب الثلاثة كما سيأتي في الكلام عليها.

وبلغ من تمسكهم به في القضاء أن القادر بالله (12) استخلف مرة أبا العباس أحمد بن محمد البارزي الشافعي عن أبي محمد بن الأكفاني الحنفي قاضي بغداد بإشارة أبي حامد الإسقراييني (13)، فأجيب إليه بغير الرضا الأكفاني، وكتب أبو حامد إلى السلطان محمود بن سبكتكين (14) وأهل خراسان: إن الخليفة نقل القضاء عن الحنفية إلى الشافعية.

فاشتهر ذلك، وصار أهل بغداد حزبين ثارت بينهما الفتن، فاضطر الخليفة إلى جمع الأشراف والقضاة، وأخرج إليه رسالة تتضمن أن الإسفراييني أدخل على أمير المؤمنين مداخل أوهمه فيها النصح والشفقة والأمانة، وكانت على أصول الدخل والخيانة، فلما تبين له أمره ووضح عنده خبث اعتقاده فيما سأل فيه من تقليد البارزي الحكم بالحضرة، من الفساد والفتنة، والعدول بأمير المؤمنين عما كان عليه أسلافه من إيثار الحنفية، وتقليدهم واستعمالهم صرف البارزي، وأعاد الأمر إلى حقه، وأجراه على قديم رسمه، وحمل الحنفية على ما كانوا عليه من العناية والكرامة والحرمة والإعزاز، وتقدم إليهم أن لا يلقّوا أبا حامد، ولا يقضوا له حقاً! ولا يردوا عليه سلاماً !!، وخلع على أبي محمد الأكفاني، وانقطع أبو حامد عن دار الخلافة، وظهر التسخط عليه والانحراف عنه، وذلك في سنة (393 هـ) واتصل ببلاد الشام ومصر (15).

وكان الغالب على إفريقية السنن والآثار، إلى أن قدم عبد الله بن فروخ أبو محمد الفارسي بمذهب أبي حنيفة (16)، ثم غلب عليها لما ولي قضاءها أسد بن الفرات بن سنان (17)، ثم بقي غالباً عليها حتى حمل المعز بن باديس أهلها على مذهب مالك (18)، وهو الغالب اليوم على أهلها إلا قليلاً منهم يقلّدون المذهب الحنفي.

وفي (الديباج) لابن فرحون: أن الحنفي ظهر ظهوراً كثيراً بإفريقية إلى قريب سنة (400 هـ) فانقطع ودخل منه شيء ما وراءها من المغرب قديماً بالأندلس ومدينة فاس (19).

وهي (أحسن التقاسيم) للمقدسي (20) أن أكثر أهل صقلية حنفيون وذكر أيضاً (21) أنه سأل بعض أهل المغرب (كيف وقع مذهب أبي حنيفة رحمه الله إليكم ولم يكن على سابلتكم)؟

قالوا: لما قدم وهب بن وهب من عند مالك رحمه الله، وقد حاز من الفقه والعلوم ما حاز، استنكف أسد بن عبد الله أن يدرس عليه، لجلالته وكبر نفسه، فرحل إلى المدينة ليدرس على مالك فوجده عليلاً، فلمّا طال مقامع عنده، قال له: ارجع إلى ابن وهب، فقد أودعته علمي، وكفيتكم به الرحلة.

فصعب ذلك على أسد، وسأل: هل يعرف لمالك نظير؟ فقالوا: فتى بالكوفة يقال له: محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة (22).

قالوا: فرحل إليه، وأقبل عليه محمد إقبالاً لم يقبله على أحد ورأى فيه فهماً وحرصاً، فزقّه فقه زقاً (23).

فلمّا علم أنه قد استقل وبلغ مراده فيه، سيّبه إلى المغرب، فلما دخلها اختلف إليه الفتيان، ورأوا فروعاً حيّرتهم، ودقائق أعجبتهم، ومسائل ما طنّت على أذن ابن وهب، وتخرج به خلق، وفشا مذهب أبي حنيفة رحمه الله بالمغرب.

قلت: فلم لم يفش بالأندلس؟

قالوا: لم يكن بالأندلس أقل منه ههنا، ولكن تناظر الفريقان يوماً بين يدي السلطان فقال لهم: من أين كان أبو حنيفة؟ قالوا: من الكوفة فقال: ومالك؟ قالوا: من المدينة، قال: عالم دار الهجرة يكفينا.

فأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة، وقال: لا أحب أن يكون في عملي مذهبان!.

وسمعت هذه الحكاية من عدة من مشايخ الأندلس انتهى.

قلنا: وفي هذه القصة ما لا يخلو من نظر، فإن وهب بن وهب هذا لا نعلم أحداً ذكره فيمن أخذ عن الإمام مالك، وإنما الآخذ عنه عبد الله بن وهب، وهو لم يرحل إلى المغرب، بل كان بمصر ومات بها (24).

وأما أسد بن عبد الله فصوابه – على ما يظهر – أبو عبد الله ويكون المراد به أبا عبد الله أسد بن الفرات، فهو الذي لقي محمد بن الحسن (25)، وتفقه بأصحاب الإمام أبي حنيفة، ونشر مذهبه بإفريقيّة، وذلك بعد أن رحل إلى الإمام مالك وأخذ عنه، ولم يصادفه عليلاً فأحاله على ابن وهب كما ذكروا، بل قال له لما استزاده بعد فراغه من السماع منه: (حسبك ما للناس، أو حسبك يا مغربي، إن أحببت الرأي فعليك بالعراق).

وكان أهل مصر لا يعرفون هذا المذهب حتى ولّي قضاءها إسماعيل ابن اليسع الكوفي من قبل المهدي (26)، سنة (164 هـ)، وهو أول قاض حنفي بمصر، وأول من أدخل إليها مذهب أبي حنيفة، وكان من خير القضاة، إلا أنه كان يذهب إلى إبطال الأحباس (27)، فثقل أمره على أهل مصر، وقالوا: أحدث لنا أحكاماً لا نعرفها ببلدنا، فعوله المهدي (28).

ثم فشا فيها بعد ذلك مدة تمكن العباسيين، إلا أن القضاء بها لم يكن مقصوراً على الحنفية، بل كان يتولاه الحنفيون تارة، والمالكيون أو الشافعيون أخرى (29).

إلى أن استولى عليها الفاطميون (30)، فأظهروا مذهب الشيعة الإسماعيلية (31)، وولوا القضاء منهم فقوي هذا المذهب بالدولة، وعمل بأحكامه، إلا انه لم يقض على المذاهب السنية في العبادات، لأنهم كانوا يبيحون للرعية التعبّد بما يشاؤون من المذاهب.

قال في (صبح الأعشى): (إنهم كانوا يتألفون أهل السنة والجماعة، ويمكنونهم من إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم، ولا يمنعون من إقامة صلاة التراويح في الجوامع والمساجد على مخالفة معتقدهم في ذلك (32)، ومذاهب مالك والشافعي وأحمد ظاهرة الشعار في مملكتهم، بخلاف مذهب أبي حنيفة، ويراعون مذهب مالك، ومن سألهم الحكم به أجابوه) انتهى (33).

قلنا: بل قد أقام وزيرهم أبو علي أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش (34) قضاة من المالكية والشافعية، لما حجر على الخليفة الحافظ لدين الله (35) وسجنه، فإنه أعلن بمذهب الإمامية، وأقام أربعة قضاة: اثنين شيعيين، احدهما إمامي والآخر إسماعيلي، واثنين سنيين، أحدهما مالكي والآخر شافعي، فكان كل قاض منهم يحكم بمذهبه، ويورّث بمقتضاه، فلما قتل أبو علي عاد الأمر إلى ما كان عليه من مذهب الإسماعيلية (36).

ويظهر لنا أن غض الفاطميين من المذهب الحنفي لم يكن إلا لأنه مذهب الدولة العباسية، المناوئة لهم في المشرق.

ثم لما قامت الدولة الأيوبية بمصر، وكان سلاطينها شافعية قضوا على التشييع فيها، وأنشأوا المدارس للفقهاء الشافعية والمالكية.

وكان نور الدين الشهيد حنفياً (19، فنشر مذهبه ببلاد الشام، ومنها كثرت الحنفية بمصر، وقدم إليها أيضاً عدة من بلاد المشرق، فبنى لهم صلاح الدين الأيوبي (37)، المدرسة السيوفية بالقاهرة (38)، وما زال مذهبهم ينتشر ويقوى، وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من حينئذ ولكن لم يبلغ المذهب مبلغه في القوة والكثرة بمصر إلا في آخر هذه الدولة (39).

وأول من رتب دروساً أربعة للمذاهب الأربعة في مدرسة واحدة الصالح نجم الدين أيوب (40) في مدرسته الصالحية بالقاهرة سنة (641 هـ) (41).

ثم كثر هذا النوع من المدارس في الدولتين التركية والجركسية وحدث في الأولى جعل القضاة أربعة، فعاد الحنفية إلى القضاء بعد انقطاعه عنهم مدة الفاطميين، والاقتصار مدة الأيوبيين على نواب منهم ومن المالكية والحنابلة عن القاضي الشافعي.

ثم لما استولى العثمانيون على مصر حصروا القضاء في الحنفية وأصبح الحنفي مذهب أمراء الدولة وخاصتها، ورغب كثيرون من أهل العلم فيه لتولّي القضاء، إلا أنه لم ينتشر بين أهل الريف والصعيد انتشاره في المدن، ولم يزل كذلك إلى اليوم (42).

أما بدء دخوله في سائر البلاد الإسلامية فيعسر تعيينه لكل بلد وغاية ما وقفنا عليه من انتشاره في القرن الرابع، ما ذكره المقدسي في (أحسن التقاسيم) في كلامه على كل إقليم.

ومنه يعلم أنه كان الغالب على أهل صنعاء وصعدة باليمن، والغالب على فقهاء العراق وقضائه، وكان منتشراً بالشم، تكاد لا تخلو فيها قصبة أو بلد من حنفي، وربما كان القضاة منهم، إلا أن أكثر العمل فيها كان على مذهب الفاطمي في زمنه، أي كما كان بمصر.

وكان في إقليم الشرق أي خراسان وسجستان وما وراء النهر وغيرها إلا في بلاد منها ذكرها، كان أهلها شافعية، وكان أهل جرجان وبعض طبرستان من إقليم الديلم حنفية، وكان غالباً على أهل دبيل من إقليم الرحاب الذي منه الران وإرمينية وأذربيجان وتبريز، وموجوداً في بعض مدنه بلا غلبة.

وكان غالباً على أهل الري من إقليم الجبال، وكثيراً في إقليم خوزستان المسمى قديماً بالأهواز (43)، وكان لهم به فقهاء، وأئمة كبراء.

وكان بإقليم فارس كثير من الحنفية، إلا أن الغلبة كانت في السنيين للظاهرية، وكان القضاء فيهم، وكانت قصبات السند لا تخلو من فقهية حنفية.

وفي (معجم البلدان) لياقوت الحموي (44)، أن أهل الري كانوا ثلاث طوائف: شافعية وهم الأقلية، وحنفية وهم الأكثرية، وشيعة وهم السواد الأعظم، ثم فني أهل المذهبيين وغلب الشافعية على ما سيأتي وذكر أيضاً أن أهل سجستان كانوا حنفية (45).

وذكر ابن تغري بردي (46) في (المنهل الصافي) أن ملوك ينجالة بالهند كانوا جميعاً حنفية.

وسنذكر في الخاتمة مبلغ انتشار هذا المذهب اليوم في البلاد.

ويتبع الحنفية في العقائد مذهب الإمام أبي منصور محمد الماتريدي الحنفي (47) وليس بين أصحابه وأصحاب الإمام الأشعري (48) خلاف إلا في بضع عشرة مسألة، ومنهم أشعرية ولكن على قلة، حتى قيل: من المستظرف أن يكون حنفي أشعرياً (49).

والذي في (طبقات السبكي) (50) أن الحنفية أكثرهم أشاعرة، أعني يعتقدون عقيدة الأشعري، لا يخرج منهم إلا من لحق بالمعتزلة.

وذكر ان تأمل (عقيدة الطحاوي) (51) التي زعم أنها ما كان عليه الإمام أبو حنيفة وصاحباه، فلم يجد فيها إلا ثلاث مسائل خالف فيها الأشعرية، ثم تصفح كتب الحنفية فوجد المسائل التي يخالفون فيها الأشعرية في العقائد ثلاث عشرة مسألة، منها ست معنوية، والباقي لفظي (52).

قلنا: وكأنه يريد أن خلافهم في هذه المسائل لا يخرجهم عن كونهم أشعرية، وإن تسموا بالماتريدية، لتصريحه بعد ذلك بأنها كالمسائل (53) التي اختلفت فيها الأشاعرة فيما بينهم، ولان المسائل الثلاث عشرة لم تثبت جميعها عن الشيخ، ولا عن الإمام أبي حنيفة (54).

**الهوامش:**

1) في أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

2) انظر ترجمة الإمام أبي حنيفة في (وفيات الاعيان) (5/415-423) و (تهذيب الكمال) (7/329-345) و (تذكرة الحفاظ) (1/168)، و (مرآة الجنان) (1/309) و سير أعلام النبلاء (6/390-403) و (البداية والنهاية (10/107) و (تهذيب التهذيب (4/329-230) ومناف الإمام أبي حنيفة كثيرة جداً، انظر ما كتبه العلامة المحدث الناقد المحقق البارع الفقيه الشيخ محمد عبد الرشيد النعماني، (مكانة الإمام أبي حنيفة في الحديث).

3) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزآبادي، برع في العلوم كلها سيما الحديث والتفسير واللغة، ولد بكارزورن سنة (729 هـ)، وتوفي قاضياً بزبيد سنة (817 هـ) انظر ترجمته في (المجمع المؤسس) (2/547) و (الشقائق النعمانية (1/32).

4) يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف القاضي، إمام مجتهد ثقة، وهو من أشهر تلامذة الإمام أبي حنيفة النعمان، وكان وارث علمه وناشر مذهبه، قال ابن معين فيه: (ما رأيت في أصحاب الرأي أثبت في الحديث، ولا أحفظ ولا أصبح رواية من أبي يوسف) توفي سنة (182 هـ)، انظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء) (8/470-473).

5) الفقيه المجتهد الرباني العلامة أبو الهذيل زفر بن الهليل بن قيس بن سلم البصري، توفي سنة (158 هـ) أنظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء) (8/38)، و (وفيات الأعيان) (2/317-319).

6) أسد بن عمرو بن عامر أبو المنذر القشيري البجلي الكوفي، صاحب الإمام أبي حنيفة سمعه وغيره، وروى عنه أحمد بن حنبل ومحمد بن بكار وأحمد بن منيع وولي القضاء بعد أبي يوسف للرشيد وحج معه، توفي سنة (90 هـ)، انظر ترجمته في: (تعجيل المنفعة) (295/1) و (لسان الميزان) (90/2) و (الفوائد البهية) (78-79).

7) أبو عصمة نوح بن أبي مريم، واسمه ما بنة، ويقال: ما فته، وقيل: يزيد بن جعونة المروزي القرشي قاضي مرو، ويعرف بنوح الجامع، توفي سنة (173 هـ) أنظر ترجمته في: (تهذيب الكمال) (368/7-370) و(تعجيل المنفعة) (310/2) وفي ضبط اسم أبيه وجهان: جعونة وجعونة، حكامها ابن نقطة في (تكملة الإكمال) (49/2) وانظر الاستدراك في آخر (ظفر الأماني) حول تبرئته من قصة وضع حديث فضائل القرآن).

8) أمير المؤمنين هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أو جعفر، استخلف بعد وفاة أخيه موسى الهادي، أمه الخيزران الجرشية، ولد بالري سنة (150 هـ)، ومات بطوس سنة (193 هـ) أنظر ما كتبه العلامة الدكتور شوقي أبو خليل: (هارون الرشيد أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا).

9) الإمام الكبير فقيه الأندلس أبو محمد يحيى بن يحيى بن كثير الليثي البربري المصمودي الأندلسي القرطبي: توفي سنة (234 هـ) أنظر ترجمته في : (سير أعلام النبلاء) (519/10-525) و (نفح الطيب) (9/2-12).

10)الحكم بن هشام بن الداخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي المرواني، أبو العاص، أمير الأندلس، وابن أميرها، وحفيد أميرها، وبلقب بالمرتضى، ويعرف بالربضي، مات

سنة (206 هـ) أنظر ترجمته في (الحلة السيراء) (1/43-50) و (سير أعلام النبلاء) (8/253-260).

11)علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره وأحد أئمة الإسلام، كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم (الحزمية) ولد بقرطبة سنة (384 هـ)، وتوفي في بادية لبلة (من بلاد الأندلس) سنة (456 هـ) أنظر ترجمته في (سير اعلام النبلاء) (18/184-211).

12)عن المقريزي في (خططه) (4/144)، و (نفح الطيب) (2/10)، و(بغية الملتمس) (تيمور) وانظر (وفيات الأعيان) (6/144).

13)أمير المؤمنين القادر بالله: أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله بن الموفق بالله أبي أحمد طلحة بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان من خيار خلفاء بني العباس وأحبارهم، توفي سنة (422 هـ)، انظر ترجمته في: (طبقات الفقهاء الشافعية) (1/324-325) و (تاريخ الخلفاء) للسيوطي (ص 485-491).

14)أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفرايني، الفقيه الشافعي، انتهت إليه رياسة الدنيا والدين ببغداد: توفي سنة (406 هـ) أنظر ترجمته في: (طبقات الفقهاء الشافعية) لابن الصلاح (1/373)، و (وفيات الاعيان) (1/72-74).

15)الملك يمين الدولة فاتح الهند أبو القاسم محمود بن سبكتكين، أحد أئمة العدل، توفي سنة (422 هـ)، أنظر ترجمته في: (طبقات الشافعية الكبرى، (5/314)، و وفيات الأعيان (5/175)، وقد ألف في سيرته

محمد بن عبد الجبار العتبي وسماها: (اليميني في شرح أخبار السلطان يمين الدولة وأمين الملة محمود الغزنوي) طبعت سنة 1424 هـ.

16)عن المقريزي، في (خططه) (145/4) (تيمور).

17)الإمام العلامة عبد الله بن فروخ الخراساني، مولده سنة (115 هـ)، تفقه على أبي حنيفة وحمل عنه المسائل ثم دخل ديار مصر سنة (174 هـ) توفي بمصر بعد انصرافه من الحج في سنة (175 هـ) أنظر ترجمته في: (تهذيب الكمال) (239/4).

18)عن المقريزي في (خططه) (144/4)، والمراد بإفريقية ما يشمل طرابلس وتونس والجزائر وجعلها بعضهم أقل من ذلك، وتفصيل الخلاف فيها ليس هذا موضعه، ويستفاد من (معالم الإيمان) أن ابن فروخ سمع من الإمامين مالك وأبي حنيفة، وكان اعتماده على مالك ولكنه كان يميل إلى قول أهل العراق إذا ظهر عنده صوابه، وسمع ابن الفرات من مالك وأصحاب أبي حنيفة ونشر مذهب أهل العراق بإفريقية لسبب ترك صاحب (المعالم) ذكره، وذكر ابن خلدون أنه كتب عن أصحاب أبي حنيفة أولاً ثم انتقل إلى مذهب مالك (تيمور)، وأسد بن الفرات، هو: الإمام العلامة القاضي الأمير مقدم المجاهدين أبو عبد الله الحراني ثم المغربي، توفي (213 هـ)، انظر ترجمته في (ترتيب المدارك) (465/2-480)، و (وفيات الأعيان) (182/3).

19)عن (الكامل) لابن الأثير (257/9)، وكانت ولاية المعز سنة (407 هـ) وتوفي سنة (453 هـ) (تيمور) والمعز بن باديس، من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقية، كانت خطبته للفاطميين فقطعها سنة (440 هـ) وجعلها للعباسيين فنشبت بينه وبين الفاطميين الحرب، وكان سبب تسننه، ومن ثم تمرده على العبيديين، عناية أحد علماء أهل السنة بتربيته

وتنشئته، وفي ذلك عبرة بالغة فيما يتوجب على العلماء تجاه أبناء الجيل، ومما وجد بخطه على مصحف حبسه على جامع القيروان،(أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم) وأن أفضل الناس بعد رسول الله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي صلى الله عليه وسلم أجمعين، اللهم العن بني عبيد أعداءك وأعداء نبيك، نفعنا الله ببغضهم أجمعين، انزر صورة خطه هذا في (الإعلام) (269/7).

20) (الديباج المذهب) (ص 12-13).

21) (ص 197).

22) أي المقدسي في (احسن التقاسيم) (ص 195-196).

23) محمد بن الحسن بن واقد، أبو عبد الله الشيباني، ولد بواسط سنة (132 هـ) ونشأ بالكوفة وصحب الإمام أبا حنيفة وأخذ الفقه عنه، وهو الذي دون فقه المذهب الحنفي ونشره، توفي سنة (189 هـ)، أنظر ترجمته في: (الانتقاء) لأبن عبد البر (174-175)، و (الفوائد البهية) (ص 268-270) وللشيخ الكوثري (بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني) مطبوع.

24) زق الطائر الفرخ، أطعمه، وزقه الفقه جعله يتقنه.

25) سنة (197 هـ): أنظر ترجمته في: (سير أعلام النبلاء) (223/9-234)، و (تهذيب الكمال) (317/4-320).

26) أنظر ترجمته ص 32.

27) أمير المؤمنين المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور: ولد بإيذج سنة (127 هـ) وتوفي سنة (169 هـ) انظر ترجمته وأخباره في (تاريخ الخلفاء) (ص 322-330).

28) أي: الأوقاف وتكون في الأصول والعبيد والسلاح والخيل على خلاف في هذا معروف، وبعض اهل العلم أبطل الأحباس وهو قول مروي عن أبي حنيفة وقد اشتهر به من السلف شريح، انظر (المحلى) لابن حزم (121/9).

29) عن (طبقات الحنفية) المتقدم ذكرها، و (رفع الإصر) للحافظ ابن حجر و (قضاة مصر)، لعلي بن عبد القادر الطوخي، (تيمور). قلت: وكان عزل إسماعيل بن اليسع سنة (167 هـ) كما في (فتوح مصر وأخبارها) لابن عبد الحكم (ص 244) وانظر (اخبار القضاة) لوكيع (236/3).

30) عن المقريزي في (خططه) (145/4) (تيمور).

31) كان أول خفائهم المهدي، وكان من بلدة سلمية ويدعى عبيد، حيث كان يعمل حداداً، وكان يهودياً وقد دخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله، وادعى أنه شريف علوي فاطمي، وقال عن نفسه: إنه المهدي، وقد ذكر ذلك كثير من العلماء، وقد نص الباقلاني، وعبد القاهر البغدادي، وابن السمعاني، وابن الجوزي، وسبطه، وابن حجر، والسخاوي، والشمس ابن طولون، وغيرهم من ثقات أهل العلم على أنهم ليسوا بفاطميين، أنظر: (الفهرست) لابن النديم (ص 187)، و (الفرق بين الفرق) لعبد القاهر البغدادي (ص 283) و (المنتظم) لابن الجوزي (حوادث سنة 402 هـ) و (الانساب) للسمعاني (255/1- الإسماعيلي)، و (الإعلام بالتوبيخ) (ص 177) و (اللمعات البرقية في النكت التاريخية) لابن طولون (ص 47-53) وإن توهم ابن خلدون، والمقريزي صحة نسبهم لأسباب مشروحة في (إعلان) السخاوي وغيره.

32) نسبة إلى إمامهم السابع محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، أنظر: الملل والنحر (191/1-198).

33) وقع أن بعض خلفائهم كانوا بمنعون الناس من صلاة التراويح، وعاقب احدهم شخصاً وجد عنده (الموطأ) فمراد القلقشندي ما كان متيعاً عندهم في الغالب (تيمور).

34) (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء) (598/3).

35) قتل سنة (526 هـ)، انظر ترجمته في: (شذرات الذهب) (128/6-129).

36) صاحب مصر أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير محمد بن المستنصر بالله معد بن الظاهر علي بن الحاكم بن العزيز بن المعز، العبيدي الإسماعيلي المصري ولد سنة (467 هـ) ومات سنة (544 هـ)، انظر ترجمته في أسير أعلام النبلاء (199/15).

37)عن المقريزي في (خططه) (160/4) وغيره (تيمور).

38)الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن أق سنقر، توفي سنة (569 هـ) انظر ترجمته في وفيات الأعيان) (184/5-187)، و (سير أعلام النبلاء) (531/20-539) و (تحفة ذوي الألباب) (ص 378-384).

39)السلطان الكبير الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني ثم التكريتي، توفي سنة (589 هـ) أنظر ترجمته في: (التكملة لوفيات النقلة) (183/1) وشهرته تغني عن التعليق، وقد ألف في سيرته ابن شداد المتوفى سنة (632 هـ) وسماها (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) طبعت سنة (1317 هـ).

40)قال أبو الحسن السخاوي في (تحفة الأحباب) (ص 66): (المدرسة السيوفية من مدارس الأيوبية بناها صلاح الدين للفقهاء الحنفية)، وتعرف الآن بجامع المطهر بشارع الخردجية.

41)عن المقريزي في (خططه) (161/4) (تيمور).

42)الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين: من كبار الملوك الأيوبيين بمصر، ولد سنة (603 هـ)، ونشأ بالقاهرة، وولي بعد خلع أخيه (العادل) سنة 637 هـ، وضبط الدولة بحزم، وكان شجاعاً مهيباً عفيفاً صموتاً، عمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بني أيوب، توفي سنة (647 هـ) أنظر ترجمته في: (ذيل الروضتين) لأبي شامة (ص 182–183) و (سير أعلام النبلاء) (187/23–193).

43)عن المقريزي في خططه (209/4) و (تحفة الأحباب) (ص 62) (تيمور).

44)كانوا قديماً يعبرون بالريف عن الوجه البحري، وبالصعيد عن الوجه القبلي، فجاريناهم في ذلك (تيمور).

45)هو المسمى الآن بالمحمرة (تيمور)، ويعرف الآن بخوزستان، هكذا تسميه إيران، والعرب يسمونه، عربستان وأما المحمرة فمدينة في عربستان على شط العرب.

46)ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين، مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب، أصله من الروم أسر من بلاده صغيراً، وابتاعه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فرباه وعلمه وشغله بالأسفار في متاجره، ثم اعتقد ولد سنة

(574 هـ) وتوفي سنة (626 هـ)، انظر ترجمته في (وفيات الاعيان) (127/6-139) و (التكملة لوفيات النقلة) (249/3).

47)(معجم البلدان) (17/3).

48)الإمام العلامة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأمير الكبير سيف الدين، تغري بردي الحنفي، توفي سنة (874 هـ)، انظر ترجمته في (الضوء اللامع) (305/10) و (شذرات الذهب) (472/9)، قال العلامة خير الدين الزركلي رحمه الله في تعليقه على ترجمة المترجم من (الأعلام (222/8) تغري بردي: تترية بمعنى (عطاء الله) أو (الله أعطى) كان يكتبها الأتراك (تكري ويردي) ويلفظون الكاف نوناً، والواو أقرب إلى الـ v بحركة بين الفتح والكسر.

49)الإمام العلامة أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي نسبة إلى قرية من قرى سمرقند، إمام المتكلمين، صاحب التصانيف في الفقه والأصول والعقائد والتفسير المتوفى سنة (333 هـ) و (الفوائد البهية) (ص 319).

50)الإمام العلامة البحر الفهامة أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل بن أبي بشر المتكلم البصري صاحب المصنفات، توفي سنة (324 هـ) أنظر ترجمته في (ير اعلام النبلاء) (85/15-90).

51)عن (الكامل) لابن الأثير (93/10) و (الفوائد البهية) (ص 263) (تيمور).

52)تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي أبو نصر: قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث، ولد في القاهرة سنة (727 هـ) وانتقل إلى دمشق مع والده فسكنها وتوفي بها نسبته إلى سبك (من اعمال المتوفية بمصر)

وكان طلق اللسان، قوي الحجة، انته إليه القضاء في الشام وعزل، وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر، واتوا به مقيداً مغلولاً من الشام إلى مصر، ثم أفرج عنه، وعاد إلى دمشق فتوفي بالطاعون سنة (771 هـ)، أنظر ترجمته في (الدرر الكامنة) (425/3-428) و (الذيل على العبر) لابن العراقي (303-306).

53)الإمام العلامة أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي أبو جعفر، فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، ولد في (طحا) من صعبة مصر سنة (239 هـ) وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفياً، ورحل إلى الشام سنة 268 هـ، فاتصل باحمد بن طولون، فكان من خاصته وتوفي بالقاهرة سنة (321 هـ) وهو ابن أخت المزني انظر ترجمته في (سبير أعلام النبلاء) (27/15) و (لسان الميزان) (620/1-629).

54)(طبقات الشافعية الكبرى) (377/3-378) وللفائدة أنظر كتاب المسائل الخلافية بين الأشاعرة والماتريدية للأستاذ بسام عبد الوهاب الجابي وفيه (القصيدة النونية) لتاج الدين السبكي، وفيه أيضاً (الروضة البهية في ما بين الأشاعرة والماتريدية) للعلامة الحسن بن عبد المحسن المشهور بأبي عذبة المتوفى بعد سنة (1172 هـ) وفيه أيضاً (نظم الفوائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية في العقائد مع ذكر أدلة الفريقين) للعلامة عبد الرحين شيخ زاده المتوفى سنة (844 هـ).

**المذهب المالكي:**

ينسب هذا المذهب إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه المولود سنة (93 هـ) على الأشهر، والمتوفى بالمدينة سنة (179 هـ) على الصحيح (1)، وهو ثاني الأربعة في القدس، ويقال لأصحابه: اهل الحديث، واختص إمامه بمدرك آخر للأحكام غير المدارك المعتبرة عند غيره، وهو عمل أهل المدينة (2).

نشأ بالمدينة مواطن الإمام، ثم انتشر في الحجاز، وغلب عليه وعلى البصرة ومصر، وما والاها من بلاد إفريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى، إلى بلاد من أسلم من السودان.

وظهر ببغداد ظهوراً كثيراً، ثم ضعف فيها بعد القرن الرابع، وضعف بالبصرة بعد الخامس، وغلب في خراسان على قزوين وأبهر، وظهر بنيسابور أولاً، وكان له بها وبغيرها أئمة ومدرسون.

وكان ببلاد فارس، وانتشر باليمن وكثير من بلاد الشام (3)، وكان خملاً بالمدنية، فلا تولى قضاءها ابن فرحون سنة (793 هـ) أظهره بعد خموله (4).

وأول من قدم به إلى مصر على ما في (خطط المقريزي) (5): عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيى، مولى جمح (6).

ثم نشره بها عبد الرحمن بن القاسم (7)، فاشتهر بها أكثر من مذهب أبي حنيفة لتوفر أصحاب مالك بها، ولم يكن مذهب أبي حنيفة يعرف بمصر.

ويوافق هذا ما في (الأوائل) للسيوطي (8) ولكنه ذكر في (حسن المحاضرة)، نقلاً عن الديباج أنه عثمان بن الحكم الجذامي وعبارة (الديباج): (مشهور من أصحاب مالك المصريين وهو أول من أدخل علم مالك مصر، ولن تنبت مصر أنبل منه) إلى أن قال وتوفي سنة (163 هـ) (9).

وكلا القلوين صحيح، ففي ترجمة عثمان الجذامي من (تهذيب التهذيب) للحافظ ابن حجر ما نصله: (وقال ابن وهب: أول من قدم مصر بمسائل مالك: عثمان بن الحكم، وعبد الرحيم بن خالد بن يزيد) انتهى (10)، فالظاهر أنهما بعد أن أتما الأخذ عن الإمام عادا معاً إلى مصر ونشرا بها علمه.

وفي (خطط المقريزي) أن هذا المذهب ما زال معمولاً به بمصر مع الشافعي، ويولى القضاء من يذهب إليهما أو إلى مذهب أبي حنيفة، إلى أن قدم القائد جوهر (11)، فمن حينئذ فشا بديار مصر مذهب الشيعة، وعمل به في القضاء والفتيا، وانكر ما خالفه (12).

قلنا: ثم عاد إلى الانتعاش في الدولة الأيوبية وبنيت لفقهائه المدارس، ثم عمل به في القضاء استقلالاً لما أحدث الظاهر بيبرس (13) في الدولة التركية البحرية القضاة الأربعة (14)، وصار قاضيه الثاني في المرتبة بعد الشافعي، وكان القضاء في الأيوبية للشافعية، ولقاضيهم نواب من المذاهب الثلاثة، ولم يزل منتشراً بمصر إلى الآن معادلاً للشافعي، واكثر انتشاره في الصعيد.

وكان الغالب على أهل أفريقية السنن، ثم غلب الحنفي كما تقدم فلما تولى عليها المعز بن باديس سنة (407 هـ) حمل أهلها وأهل ما والاها من بلاد المغرب على المذهب المالكي، وحسم مادة الخلاف في المذاهب (15)، فاستمرت له الغلبة عليها وعلى سائر بلاد الغرب.

وفي ذلك يقول مالك بن المرحل المالكي شاعر المغرب (16):

مذهبي تقبيل خذ مذهب سيدي ماذا ترى في مذهبي

لا تخالف مالكاً في رأيه فعليه جل أهل المغرب (17)

وذكر الفاسي (18) في العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين أن المغاربة كلهم مالكية إلا النادر، ومنهم من ينتحلون الأثر.

وكان الغالب على أهل الأندلس: مذهب الأوزاعي، وأول من أدخله بها صعصعة بن سلام (19) لما انتقل إليها وبقي بها إلى زمن الأمير هشام بن عبد الرحمن (20)، ثم انقطع مذهب الأوزاعي منها بعد المئتين وغلب عليها المذهب المالكي (21).

وفي (نيل الابتهاج) أن أهل الأندلس التزموا مذهب الأوزاعي حتى قدم عليهم الطبقة الأولى ممن لقي الإمام مالكاً، كزياد بن عبد الرحمن (22)، والغازي بن قيس (23)، وقرعوس بن العباس (24)، ونحوهم، فنشروا مذهبه، وأخذ الامير هشام الناس به، فالتزموا وحملوا عليه بالسيف، إلا من لا يؤبه له.

وفي (بغية الملتمس) للضبي (25): أن هذا المذهب انتشر بالأندلس بيحيى بن يحيى بن كثير وتفقه به جماعة لا يحصون وتوفي سنة (234 هـ) وقيل: (233 هـ).

وفي (خطط المقريزي) و (الديباج) لابن فرحون: أن أول من أدخله بالأندلس زياد بن عبد الرحمن القرطبي الملقب بشبطون قبل يحيى بن يحيى، وكانت وفاة زياد سنة ثلاث، وقيل: أربع وقيل: تسع وتسعين ومئة (26).

وفي (نفح الطيب) تفصيل لذلك: ملخصه:

أن جماعة من أمثال شبطون، كقرعوس بن العباس، وعيسى بن دينار (27) وسعيد بن أبي هند (28) وغيرهم، رحلوا إلى الحج في زمن هشام بن عبد الرحمن والد الحكم، فلما رجعوا وصفوا من فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ما عظم به صيته بالأندلس، فانتشر يومئذ رأيه وعلمه بالأندلس.

وكان رائد الجماعة في ذلك شبطون، وهو أول من أدخل (الموطأ) إلى الاندلس مكملاً متقناً، فأخذه عنه يحيى بن يحيى، ثم أشار على يحيى بالرحيل إلى مالك، فرحل وأخذ عنه، فكان انتشار المذهب به وبزياد وبعيسى بن دينار (29).

وقال في موضع آخر: إن سبب حمل ملك الأندلس الناس على هذا المذهب في بعض الأقوال: أن الإمام مالكاً سأل عن سيرته بعض الأندلسيين، فذكروا له عنها ما أعجبه، فقال: نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم، أو كلاماً هذا معناه، وذلك لأن سيرة بني العباس لم تكن مرضية عنده، ولقي منهم ما لقي مما هو مشهور.

فلما بلغ قوله ملك الأندلس، مع ما علم من جلالة مالك ودينه حمل الناس على مذهبه، وترك مذهب الأوزاعي (30).

قلنا: وقد ذكر هذا السبب ابن نباته (31) أيضاً في (مسرح العيون) (32)، إلا أنه جعل ذلك في زمن عبد الرحمن الداخل (33)، والذي أجمع عليه المؤرخون أن دخول المذهب كان في زمن ابنه هشام.

ثم زاد انتشار هذا المذهب بالأندلس وبالمغرب بانتقال الفتيا إليه في دولة الحكم بن هشام، وكان يحيى بن يحيى بن كثير مكيناً عنده، مقبول القول، فصار لا يولي القضاء إلا من أشار به، فانتشر به مذهب مالك، كما انتشر الحنفي بأبي يوسف في المشرق (34).

وعلل ابن خلدون غلبة هذا المذهب على المغرب والأندلس تعليلاً آخر فقال: (أما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس وإن كان يوجد في غيرهم، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل، لما أن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز، وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة، وشيخهم

يومئذ وإمامهم مالك، وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس، وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته.

وأيضاً فالبداوة كان غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل، لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضاً عندهم، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب) انتهى (35).

قلنا: وتقدم في الكلام على الحنفي شيء عن سبب انقطاعه بالأندلس، وغلبة المالكي فيما رواه المقدسي.

ولما قامت دولة بني تاشفين بالمغرب الأقصى في القرن الخامس، واستولوا على الأندلس، وتولى ثانيهم أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين (36) اشتد إيثاره لاهل الفقه والدين، فكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء وألزم القضاة بأن لا يبتوا حكومة في صغير الأمور وكبيرها إلا بمحضر أربعة من الفقهاء فعظم أمر الفقهاء.

ولم يكن يقرب منه، ويحظى عنده إلا من علم مذهب مالك، فنفقت في زمنه كتب المذهب، وعمل بمقتضاها، ونبذ ما سواها وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يكن احد يعتني بهما كل الاعتناء (37).

ثم دالت دولتهم، واستولى الموحدون على مملكتهم في أوائل القرن السادس، سلك خليفتهم عبد المؤمن بن علي (38) هذا المسلك، فجمع الناس بالمغرب على مذهب مالك في الفروع وهذب أبي الحسن الأشعري في الأصول (39) وكان مقصده في الباطن – هو وابن يوسف (40) – محو المذهب المالكي، وحمل الناس على العمل بظاهر القرآن والحديث، ولكنهما لم يتمكنا من ذلك (41).

فلما تولى حفيده يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (42) تظاهر بمذهب الظاهرية، واعرض عن مذهب مالك، فعظم أمر الظاهرية في أيامه، وكان بالمغرب منهم خلق كثير يقال لهم: الحزمية، نسبة لابن حزم، رئيسهم إلا انهم كانوا مغمورين بالمالكية، فظهروا وانتشروا في أيام يعقوب، ثم في آخر أيامه استقضى الشافعية على بعض البلاد ومال إليهم (43).

قال المراكشي (44) في (المعجب): (وفي أيامه انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ففعل ذلك فأحرق منها جملة في سائر البلاد ك (مدونة سحنون) وكتاب ابن يونس و (نوادر ابن أبي زيد) و (مختصره) و (التهذيب) للبراذعي و (واضحة ابن حبيب) وما جانس هذه الكتب.

ولقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس يؤتى منها بالأحمال وتطلق فيها النار.

ثم أمر بجمع أحاديث من الصحيحين والترمذي والموطأ وسنن أبي داود والنسائي والبزار والدار قطني والبيهقي ومسند ابن أبي شيبة في الصلاة وما يتعلق بها، فكان يملي هذا المجموع بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه ويجعل لمن يحفظه الجعل السني من الكسا والأموال) انتهى ملخصاً (45).

وكان (المذهب المالكي) (46) في القرن الرابع بالعراق والأهواز، ومنتشراً بمصر وبلاد المغرب، وغالباً على الأندلس على ما ذكره المقدسي في (أحسن التقاسيم).

ويتبع المالكية في الأصول عقيدة أبي الحسن الأشعري، بحيث لا يرى مالكي إلا أشعرياً، كما في (الطبقات) و (معيد النعم) للتاج السبكي.

**الهوامش:**

1) أنظر ترجمة الغمام مالك في (حلية الأولياء) (316/6) و (الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء) (ص 36–114) و (ترتيب المدارك) (102/1–254)، وتهذيب الأسماء واللغات (75/2–79) و (وفيات الأعيان (135/4–139) و (تهذيب الكمال (6/7–14)، وسير اعلام النبلاء (48/8–135).

2) عن ابن خلدون (المقدمة) ص (495) (تيمور) ويستعمل الفقهاء عبارة (عمل أهل المدينة) فيما أجمع على عمله علماء المدينة في القرون الثلاثة الأولى التي وردت الآثار على أنها هير القرون، وتوارثوه جيلاً بعد جيل، وقد اختلف العلماء في حجية عمل أهل المدينة، فذهب الجمهور إلى أن إجماع أهل المدينة على عمل ليس حجة على من خالفهم، وذهب مالك إلى أن عمل أهل المدينة حجة على غيرهم (الموسوعة الفقهية الكويتية).

3) عن (الديباج)، (ص 12) (تيمور).

4) عن (نيل الابتهاج) (ص 31) (تيمور).

5) توفي بالإسكندرية سنة (163 هـ) قال الدارقطني: عبد الرحيم وعثمان بن الحكم أول من قدم مصر بمسائل مالك، أنظر ترجمته في: (جمهرة تراجم الفقهاء المالكية) (669/2).

6) عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة أبوة عبد الله العنقي، أصله من الشام من فلسطين من مدينة الرملة، ولد سنة (132 هـ) ويقال: سنة (128 هـ)، وتوفي سنة (191 هـ)، بمصر، قال ابن عبد البر وكان فقيهاً فقد غلب عليه الرأي، وكان رجلاً صالحاً مقلاً صابراً، وروايته (اللموطأ)

عن مالك رواية صحيحة، قليلة الخطأ، انظر ترجمته في (الانتقاء) (ص 94-96) و (جمهرة تراجم الفقهاء المالكية) (645/2).

7) الوسائل إلى معرفة الأوائل للسيوطي (ص 117).

8) الديباج المذهب (ص 187-188) وأحسن المحاضرة (233/1).

9) (تهذيب التهذيب) (58/3).

10) جوهر بن عبد الله، المعروف بالكاتب، الرومي، أبو الحسن، القائد، باني مدينة (القاهرة) و (الجامع الأزهر) كان من موالي المعز العبيدي، صاحب إفريقية، وسيره من القيروان إلى مصر، بعد موت كافور الإخشيدي، فدخلها سنة (358 هـ)، وكان بناؤه للقاهرة سنة (358 هـ) وسماها (المنصورية) حتى قدم المعز فسماها (القاهرة) وفرغ من بناء (الأزهر) في رمضان سنة (361 هـ) أنظر اخبار جوهر في (وفيات الأعيان) (357/1-380).

11) (الخطط) للمقريزي (146/4).

12) السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي، تولى المملكة بعد قتل الملك المظفر سيف الدين قطز، توفي الملك الظاهر بيبرس سنة (676 هـ) أنظر ترجمته في: (فوات الوفيات) (235/1-247).

13) أنظر (مآثر الإناقة) (119/2).

14) عن ابن الأثير (الكامل) (257/9)، وابن خلكان، (وفيات الأعيان) (233/5-234)، و (مواسم الأدب) (تيمور).

15) الإمام العالم الشهير الأديب أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن الفرج المالقي الشهير بابن المرحل، توفي سنة (699 هـ)، انظر ترجمته

فـي: (طبقـات القـراء) لابـن الجـزري (36/2)، و (معجـم المـؤلفين) (169/8).

16) عن كناش ابن مفلح (تيمور) قلت: الكناشة: هي كما قال الزبيدي في (تاج العروس) الأوراق تجعل كالدفتر يقيد فيه الفوائد والشوار للضبط هكذا يستعمله المغاربة، أما الخفاجي فيضبطه بلفظ كناش بضم الكاف وتخفيف النون بزنة غراب، ويقول: إنه لفظ سرياني معناه المجموعة والتذكرة، وقد وقع هذا اللفظ كثيراً في كلام الحكماء، وسموا به بعض كتبهم منقول بتصرف يسير من عبد السلام محمد هارون، كناشة النوادر (ص 10).

17) الحافظ تقي الديب أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي الفاس ثم المكي المالكي مفيد البلاد الحجازية وعالمها، توفي سنة (832 هـ) انظر ترجمته في: (إنباء الغمر) (187/8) و (الضوء اللامع (18/7).

18) صعصعة بن سلام بن عبد الله الدمشقي، أبو عبد الله، خطيب قرطبة ولد ونشأ بدمشق وانتقل إلى قرطبه، توفي بها سنة (192 هـ) أنظر ترجمته في (الوافي بالوفيات) (178/16).

19) عن بغية الملتمس (تيمور) واميـر الأندلس هو: أبو الوليد هشام بن الداخل عبد الرحمن بن معاوية الأموي المرواني توفي سنة (180 هـ) أنظر ترجمته في (الوافي بالوفيات) (208/27).

20) عن الديباج (ص 13) (تيمور).

21) الإمام الفقيه مفتي الأندلس، أبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة اللخمي الأندلسي الملقب بشبطون،

صاحب مالك، توفي سنة (193 هـ) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (9/311-312).

22) الغازي بن قيس أبو محمد الأموي القرطبي، الفقيه، المقرئ، المحدث، العابد، الزاهد، سمع مالك بن أنس، وأخذ عنه الموطأ، وغيره، قال القاضي عياض: وهو أول من أدخل موطأ مالك وقراءة نافع الأندلس فيما قاله أبو عمرو المقرئ: توفي سنة (199 هـ) انظر ترجمته في (جمهرة تراجم فقهاء المالكية) (2/921).

23) قرعوس بن العباس بن قرعوس بن عبيد بن منصور الثقفي القرطبي الفقيه سمع من مالك، وابن جريج، توفي بالأندلس سنة (220 هـ)، انظر ترجمته في (جمهرة تراجم فقهاء المالكية) (2/955).

24) أحمد بن يحيى بن عميرة أبو جعفر الضبي، مؤرخ، ولد في مدينة بلش بالأندلس، وقد ركب متن الأسفار في شمال إقريقية وطوف في بلادها، فزار سبتة ومراكش وبجاية، ثم جاء الإسكندرية توفي بمرسية شهيداً سنة (599 هـ)، انظر ترجمته في (الاعلام) (1/268)، ومعجم المؤلفين (2/200).

25) زاد في نفح الطيب) (2/45) وقيل: أربع ومئتين (تيمور) وأنظر الخطط للمقريزي (4/144) و (ألديباج المذهب) ص (118).

26) فقيه الاندلس ومفتيها أبو محمد عيسى بن دينار بن واقد بن رجاء الغافقي الطليطلي ثم القرطبي توفي سنة (212 هـ) أنظر ترجمته في سير اعلام النبلاء (10/439) تنبيه: قال القاضي عياض في ترتيب المدارك (4/108) وغلط بعض أصحاب التاريخ من الأندلسيين وهو أبو عبد الملك بن عبد البر في شأن عيسى بان جعله ممن رحل إلى مالك، ولم يذكر احد من أصحاب علم الرجال والأثر سماعاً لعيسى عن مالك ولا

أثبتوه ولا روى أحد من الفقهاء وعلماء الرأي والمسائل له عن مالك مقالاً، ولا رفعوا له عنه فتيا... وذكر أبو محمد ابن حزم أن رحلة عيسى كانت في حدود تسعين ومئة، وهذا بعد بموت مالك بنحو عشر سنين، ويصحح هذا انه لم يرد عن احد من أكابر أصحاب مالك الذين ماتوا في هذه المدة، كالمغيرة وابن أبي حازم وابن نافع الصائغ، وغيرهم، إنما روى أقوالهم عن أخيه عن الرحمن، وكانت رحلة أخيه أيضاً بعد موت مالك).

27) سعيد وقيل: عبد الوهاب، وقيل: عبد الرحمن بن أبي هند ابو عثمان وقيل: أبو زيد، وقيل: أبو عبد الرحمن، الأصبحي، الطليطلي ثم القرطبي القاضي، الوزير، وكان مالك، يسميه الحكيم توفي صدر أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية قبل موت مالك بكثير، أنظر ترجمته في (جمهرة تراجم الفقهاء المالكية) (546/1-547).

28) (نفح الطيب) (45/2-46).

29) نفح الطيب (230/3).

30) العلامة أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن عبد الرحيم بن نباتة الفارقي الأصل المصري، توفي سنة (768 هـ) أنظر ترجمته في: (الدرر الكامنة) (216/4-223).

31) سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون (ص 141).

32) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، الملقب بصقر قريش، ويعرف بالداخل، الاموي، مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، وأحد عظماء العالم، ولد في دمشق سنة (113 هـ)، وتوفي بقرطبة سنة 172 هـ) أنظر ترجمته في (نفح الطيب) (327/1).

33) من المقريزي في (الخطط) (144/4)، و (بغية الملتمس) و (نفح الطيب) (230/3) (تيمور).

34) مقدمة ابن خلدون (497–498).

35) علي بن يوسف بن ناشفين اللمتوني، أبو الحسن: أمير المسلمين بمراكش، وثاني ملوك دولة الملثمين المرابطين، ولد بسبتة سنة (477 هـ) وبويع بعد وفاة أبيه (سنة 500 هـ)، بعهد منه، توفي بمراكش سنة (537 هـ)، انظر ترجمته في (الأعلام) (33/5).

36) عن (المعجب) للمراكشي (ص 122–123) (تيمور).

37) عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلى بن مروان، أبو محمد الكومي: امير المؤمنين، مؤسس دولة (الموحدين) المؤمنية في المغرب وإفريقية وتونس، نسبته إلى كومية (من قبائل البربر) لد في مدينة تاجرت بالمغرب (قرب تلمسان) سنة (487 هـ) وتوفي في رباط سلا سنة (558 هـ) أنظر ترجمته في الأعلام (170/4.

38) عن كامل ابن الأثير (292/11) (تيمور).

39) يوسف بن عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي، أبو يعقوب، أمير المؤمنين، من ملوك دولة الموحدين بمراكش، وهو الثالث فيهم، مولده في تينملل سنة (533 هـ) وبويع له وهو بإشبيلية بعد وفاة أبيه (سنة 558 هـ) ثم بويع البيعة العامة في مراكش سنة (560 هـ) وحسنت سيرته، وكان حازماً شجاعاً، عارفاً بسياسة رعيته، له علم بالفقه، كثير الميل إلى الحكمة والفلسفة، توفي سنة (580 هـ) أنظر ترجمته في الأعلام 241/8.

40) عن المعجب للمراكشي (ص 202–203) (تيمور).

41) يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي الموحدي، أبو يوسف، المنصور بفضل الله، من ملوك الدولة المؤمنية في المغرب الأقصى ومن أعظمهم آثاراً، ولد بقصر جده (عبد المؤمن) بمراكش سنة (554 هـ) وتوفي بمراكش سنة (595 هـ) انظر ترجمته في الأعلام (203/8).

42) عن (كامل) ابن الأثير (145/12-146)، تيمور.

43) عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين، مؤرخ، ولد بمراكش سنة (581 هـ) وتعلم بفاس والأندلس، ورحل إلى مصر سنة 613 هـ، وحج سنة 620 هـ، وتجول في بعض بلدان المشرق توفي سنة (647 هـ) انظر ترجمته في الأعلام (176/4).

44) عن المعجب للمراكشي (ص 201-203) (تيمور).

45) ما بين الحاصرتين زيادة من طبعة القادري.

46) طبقات الشافعية الكبرى (377/3) و (معيد النعم ومبيد النقم) ( ص 75).

**المذهب الشافعي**

نسبة إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي رضي الله عنه، المولود بغزة سنة (150 هـ) والمتوفى بمصر سنة (204 هـ) (1).

وكان آية في الفهم والحفظ، واجتمع له من الفضائل ما لم يجتمع لغيره، ومذهبه ثالث الأربعة في القدم، ويقال لأصحابه: أهل الحديث كالمالكية (2)، بل كان اصطلاح أهل خراسان إذا أطلقوا (أصحاب الحديث) لا يغنون إلا الشافعية (3).

وهو ممن أخذ عن الإمام مالك، ثم استقل بمذهب خاص.

قال ابن خلدون: ورحل إلى العراق بعد مالك ولقي أصحاب الإمام أبي حنيفة وأخذ عنهم ومزج طريقة أهل الحجاز، بطريقة أهل العراق بمذهب وخالف مالكاً – رحمة الله – في كثير من مذهبه.

ويذكر أصحاب الطبقات أن ظهوره كان أولاً بمصر، وكثر أصحابه بها، ثم ظهر بالعراق، وغلب على بغداد وعلى كثير من بلاد خراسان وتوران، والشام واليمن، ودخل ما وراء النهر وبلاد فارس والحجاز، وبعض بلاد الهند، ودخل شيء منه إفريقية والأندلس بعد سنة (300 هـ) (4).

وكان الغالب على أهل مصر الحنفي والمالكي كما تقدم، فلما قدم إليها الإمام الشافعي انتشر بها مذهبه وكثر (5).

قال ابن خلدون: (واما الشافعي فمقلدوه بمصر اكثر مما سواها، وقد كان انتشر مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء النهر، وقاسموا الحنفية في الفتوى والتدريس في جميع الأمصار، وعظمت مجالس المناظرات بينهم، وشحنت كتب الخلافيات بانواع استدلالاتهم، ثم درس ذلك كله بدروس المشرق وأقطاره.

وكان الإمام محمد بن إدريس الشافعي لما نزل على بني عبد الحكم بمصر، أخذ عنه جماعة من بني عبد الحكم، وأشهب (6) وابن القاسم، وابن المواز (7)، وغيرهم ثم الحارث بن مسكين وبنوه (8).

ثم انقرض فقه أهل السنة من مصر بظهور الرافضة، وتداول بها فقه أهل البيت، وتلاشى من سواهم، إلى أن ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب، ورجع إليه فقه الشافعي وأصحابه من أهل العراق والشام، فعاد إلى أحسن ما كان ونفق سوقه.

واشتهر منهم محيي الدين النووي (9)، من الحلبة التي ربيت في ظل الدولة الأيوبية بالشام، وعز الدين بن عبد السلام أيضاً (10)، ثم ابن الرفعة بمصر (11)، وتقي الدين بن دقيق العيد (12)، ثم تقي الدين السبكي بعدهما (13).

إلى أن انتهى ذلك إلى شيخ الإسلام بمصر لهذا العهد، وهو سراج الدين البلقيني (14)، فهو اليوم أكبر الشافعية بمصر، وكبير العلماء، بل أكبر العلماء من أهل العصر، انتهى (15).

ولما أخذت الدولة الأيوبية في إنعاش مذاهب السنة بمصر، ببناء المدارس لفقهائها، وغير ذلك من الوسائل، جعلت للشافعي الحظ الاكبر من عنايتها، فخصت به القضاة لكونه مذهب الدولة.

وكان بنو أيوب كلهم شافعية، إلا المعظم عيسى بن العادل أبي بكر سلطان الشام (16)، فإنه كان حنفياً، ولم يكن فيهم حنفي سواه، وتبعه أولاده (17)، وكان متغالياً في التعصب لمذهبه، ويعده الحنفية من فقهائهم، ألف شرحاً على (الجامع الكبير) في عدة مجلدات (18)، وله (السهم المصيب في الرد على الخطيب البغدادي)، فيما نسبه للإمام أبي حنيفة في (تاريخ بغداد) (19).

ثم لما خلفتها دولة الترك البحرية، وكان سلاطينها شافعية أيضاً (20)، استمر العمل في القضاء على ذلك، حتى أحدث الظاهر بيبرس القضاة الأربعة (21)، فكان لكل قاض التحدث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والفسطاط، ونضب النواب وإجلاس الشهود، وميز (القاضي) الشافعي باستقلاله بتوليه النواب في سائر بلاد القطر، لا يشاركه فيها غيره، كما أفرد بالنظر في مال الأيتام والأوقاف وكانت له المرتبة الأولى بينهم، ثم يليه المالكي، فالحنفي، فالحنبلي (22).

ثم استمر الأمر على ذلك في الدولة الجركسية حتى استولى العثمانيون على مملكتهم فأبطلوا القضاة الأربعة، وحصروا القضاء في الحنفي، لأنه مذهبهم، ولم يزل مذهب الدولة إلى اليوم (23)، إلا أن ذلك لم يؤثر في انتشار الشافعي والمالكي بين الأهلين، لسابق تمكنهما وانتشارهما بينهم، فبقيا غالبين على الريف والصعيد، والشافعي أغلب على الريف المعبر عنه بالوجه البحري.

وكانت شياخة الأزهر، وهي رئاسة العلماء الكبرى، مصورة في علمائه من سنة (1137 هـ) (24)، إلى أن تولاها من الحنفية الشيخ محمد المهدي العباسي سنة (1287 هـ) (25)، مضافة إلى الإفتاء، فلم تنحصر بعد ذلك في مذهب من المذاهب، ولكن لم يتولّها حنبلي لقلتهم بمصر.

وكان الغالب على أهل الشام مذهب الأوزاعي، حتى ولي قضاء دمشق بعد مصر أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي الشافعي، فأدخل إليها مذهب الشافعي وحكم به، وتبعه من بعده من القضاة وهو أول من أدخله الشام، وكان يهب لمن يحفظ (مختصر المزني)، مئة دينار، وتوفي سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث وثلاثمئة (26).

وذكر المقدسي في (أحسن التقاسيم) أن الفقهاء بإقليم الشام في زمنه، أي في القرن الرابع، كانوا شافعية، قال: (ولا ترى به مالكياً ولا داودياً) (27).

وفي (طبقات السبكي) و (الإعلان بالتوبيخ) للسخاوي: إن هذا المذهب انتشر بما وراء النهر بمحمد بن إسماعيل القفال الكبير الشاشي وتوفي سنة (365 هـ) (28).

وذكر المقدسي أنه كان الغالب على كثير من البلدان في إقليم المشرق، ككورة الشاش وإيلاق وطوس ونسا وأبيورد وغيرها (29)، وكان بهراة وسجستان وسرخس ونيسابور ومرو... إلى آخر ما ذكره.

وذكر ان سجستان وسرخس كانت تقع فيهما عصبيات بين الشافعية والحنفية، تراق فيها الدماء ويدخل بينهم السلطان (30).

وذكر عن إقليم الديلم أن أهل قومس وأكثر أهل جرجان، وبعض طبرستان كانوا حنفية والباقون حنابلة وشافعية، وكان لا يرى ببيار صاحب حديث إلا شافعياً (31).

وذكر عن إقليم الفور الذي من بلاده الموصل وآمد...الخ انتشار الحنفي والشافعي فيه قال: وفيه حنابلة (32)، وذكر أن الشافعي كان الغالب على إقليم كرمان (33).

وفي (الإعلان بالتوبيخ) (34) أن الحافظ عبدان بن محمد بن عيسى المروزي هو الذي اظهر مذهب الشافعي بمرو وخراسان بعد أحمد بن سيار (35)، وكان السبب في ذلك أن ابن سيار حمل كتب الشافعي إلى مرو، وأعجب بها الناس، فنظر عبدان في بعضها وأراد أن ينسخها فلم يمكنه ابن سيار، فباع ضيعة له، وخرج إلى مصر، فأدرك الربيع (36)، وغيره من أصحاب الشافعي، فنسخ كتب الشافعي ورجع إلى مرو، وابن سيار حي، ومات عبدان سنة (293 هـ) (37).

وذكر أيضاً (38) أن أبا عوانة يعقوب بن إسحق النيسابوري الإسفرايني، صاحب (الصحيح المستخرج على مسلم) أول من أدخل مذهب الشافعي وتصانيفه إلى إسفراين، وهو ممن أخذ عن الربيع والمزني (39) ومات سنة (316 هـ) (40).

إلى أن قال (41)، وأبو إسماعيل محمد بن إسماعيل بن يوسف السلمي الترمذي هو الذي حمل كتب الشافعي من مصر فانتسخها إسحاق بن راهويه (42)، وصنف عليها (الجامع الكبير) لنفسه وهو ممن روى عن البويطي (43) ومات سنة (280 هـ) (44).

وعم ابن سريج (45)، انتشر مذهب الشافعي في أكثر الآفاق.

وفي (معجم البلدان) لياقوت الحموي: أن أهل الري كانوا ثلاث طوائف: شافعية وهم الأقل، وحنفية وهم الأكثر وشيعة وهم السواد الأعظم، فوقعت العصبية بين السنة والشيعة، فتضافر عليهم الحنفية والشافعية، وتطاولت بينهم الحرب حتى لم يتركوا من الشيعة من يعرف.

ثم وقعت العصبية بين الحنفية والشافعية، فكان الظفر للشافعية مع قلتهم، فخربت محال الشيعة والحنفية، وبقيت محلة الشافعية وهي أصغر محال الري، ولم يبق من الشيعة والحنفية إلا من يخفي مذهبه (46).

وذكر في كلامه على ساوة التي بين الري وهمذان: أن أهلها كانوا سنية شافعية، وكان بقربها مدينة يقال لها: آوة، اهلها شيعة إمامية، فكانت تقع يبنهم العصبية (47).

وفي (الكامل) لابن الأثير في حوادث سنة (595 هـ) ما نصه:

(وفيها فارق غياث الدين (48) صاحب عزنة وبعض خراسان مذهب الكرامية (49)، وصار شافعي المذهب).

وكان سبب ذلك انه كان عنده إنسان يعرف بالفخر مبارك شاه يقول الشعر بالفارسية متفنناً في كثير من العلوم، فأوصل إلى غياث الدين الشيخ وجيه الدين أبا الفتح محمد بن محمود المروروذي، الفقيه الشافعي فأوضح له مذهب الشافعي وبين له فساد مذهب الكرامية، فصار شافعياً، وبنى المدارس للشافعية، وبنى بغزنة مسجداً لهم أيضاً، وأكثر مراعاتهم، فسعى الكرامية في أذى وجيه الدين، فلم يقدرهم الله تعالى على ذلك.

وقيل: إن غياث الدين وأخاه شهاب الدين لما ملكاً في خراسان قيل لهما: إن الناس في جميع البلدان يزرون على الكرامية ويحتقرونهم، والرأي أن تفارقا مذاهبهم، فصارا شافعيين، وقيل: إن شهاب الدين كان حنفياً، والله أعلم)، وكان الحنفي غالباً على بغداد كما قدمنا، ثم زاحمه فيها الشافعي، وكانت له كثرة ومع ان الحنفي كان مذهب الدولة لم يمنع ذلك من تقليد بعض الخلفاء للشافعي، كما فعل المتوكل، وهو أول من فعل ذلك مهم (50).

وكان الحسن بن محمد الزعفراني من رواة القديم عن الشافعي، احد من نشره فيها، وتوفي سنة (260 هـ) (51).

قال السخاوي في (الإعلان بالتوبيخ): (حج الربيع بن سليمان سنة أربعين ومئتين، فالتقى مع أبي علي الحسن بن محمد الزعفراني بمكة، فسلم أحدهما على الآخر، فقال الربيع: يا أبا علي، أنت بالمشرق وأنا بالمغرب، نبث هذا العلم، يعني علم الشافعي) انتهى (52)، يريد بالمغرب مصر، لانها كذلك بالنسبة لبغداد.

وفي (طبقات السبكي) أن بني أبي عقامة هم الذين نشر الله بهم مذهب الشافعي في تهامة (53).

هذا ما انتهى إلينا علمه عن انتشار هذا المذهب بمصر وسائر بلاد المشرق.

وأما المغرب فلم يكن حظه منها كبيراً لغلبة المالكي على بلاده، حتى زعم المقدسي في (أحسن التقاسيم) انهم كانوا بسائر المغرب على عهده إلى حدود مصر لا يعرفونه، وإنه ذاكر بعضهم مرة في مسألة، فذكر قول الشافعي فقال: من الشافعي؟ إنما كان أبو حنيفة لأهل المشرق، ومالك لاهل المغرب.

قال: ورأيت أصحاب مالك يبغضون الشافعي، ويقولون: أخذ العلم عن مالك ثم خالفه (54).

وقال عن القيروان: ليس في أهلها غير حنفي ومالكي مع ألفة عجيبة، لا شغب بينهم ولا عصبية (55).

وقال عن الأندلس: ليس بها إلا مذهب مالك، فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه (56).

وفي (الكامل) لابن الأثير: أن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والاندلس، بعد أن تظاهر بمذهب الظاهرية، مال إلى الشافعية في آخر أيامه، واستقضاهم على بعض البلاد.

ويتبع غالب الشافعية في الأصول مذهب أبي الحسن الأشعري، قال التاج السبكي في (الطبقات) (57): إن غالبهم أشاعرة لا يستثنى إلا من لحق منهم بتجسيم أو اعتزال، ممن لا يعبأ الله به (58).

**الهوامش:**

1) أنظر ترجمة الإمام الشافعي حلية الأولياء (67/9) والانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء (ص 115–162)، و (تهذيب الكمال) (209/6–215) و (وفيات الأعيان) (163/4) و (سير أعلام النبلاء) (5/10) و (تذكرة الحفاظ (351) و (مناقب الشافعي) للبيهقي، و (مناقب الشافعي) للرازي.

2) عن ابن خلدون و (طبقات السبكي) (104/5) (تيمور).

3) قال الحافظ ابن الصلاح في طبقاته (265/1) وأصحاب الحديث ومذهب الحديث عبارتان يعبر بهما في خراسان عن الشافعية ومذاهبهم، قد صارتا عندهم كاسم العلم، لذلك لا يطلقان على غيره إلا بقريته.

4) عن الديباج المذهب (ص 13)، والفوائد البهية (تيمور).

5) قال علي بن عبد القادر الطوخي في كتابه (قضاة مصر) إن عيسى بن المنكدر قاضي مصر قام في وجه الإمام الشافعي فقال: دخلت هذه البلدة وأمرها واحد، ورأيها واحد، ففرقت بينهم، يشير إلى مخالفة متبعيه لأصحاب مالك، فإن أهل مصر قبل وجود الشافعي كانوا لا يعرفون إلا رأي مالك انتهى، وفيه نظر، لان الحنفي كان معروفاً أيضاً عندهم (تيمور).

6) أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القيسي ثم الجعدي، الفقيه المالكي المصري، توفي سنة (204 هـ) بعد الشافعي بشهر، أنظر ترجمته في (وفيات الأعيان) (238/1).

7) الإمام العلامة فقيه الديار المصرية أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندراني المالكي ابن المؤاز، توفي سنة (269 هـ)، أنظر ترجمته في (سير اعلام النبلاء) (6/13).

8) الفقيه المحدث الصالح الإمام أبو عمرو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموي المصري ولد سنة (154 هـ) وتوفي سنة (250 هـ) أنظر ترجمته في (الديباج المذهب) (ص 106)، و (جمهرة تراجم فقهاء المالكية) (385/1).

9) الإمام الحافظ الأوحد شيخ الإسلام أبو زكريا يحيى بن شرف النوري ويقال فيه: النواوي – الجزامي، الحوراني الشافعي صاحب التصانيف المفيدة توفي سنة (676 هـ) أنظر ترجمته في (تذكرة الحفاظ) (1470/4–1474) وقد أفردوا ترجمته بكتب مستقلة لطيفة، منهم تلميذه ابن العطار والسخاوي والسيوطي وثلاثتها مطبوعة.

10) شيخ الإسلام الفقيه المجتهد قاضي القضاة بالديار المصرية، وخطيب دمشق، عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي المتوفى سنة (660 هـ) أنظر ترجمته في (الوافي بالوفيات) (520/18).

11) أبو العباس نجم الدين أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الشافعي المعروف بابن الرفعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حين سئل عنه بعد مناظرته له: رأيت شيخاً يتقاطر فقه الشافعية من لحيته، توفي سنة (710 هـ) انظر ترجمته في (طبقات الشافعية الكبرى) (24/9).

12) تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري القوصي المصري المعروف بابن دقيق العيد، المالكي، الشافعي، توفي سنة (702 هـ) أنظر ترجمته في (الطالع السعيد) للأدفوي (567–600).

13) الإمام المجتهد شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي، توفي سنة (756 هـ) أنظر ترجمته في : طبقات الشافعية الكبرى، لولده تاج الدين (10/139-339).

14) الإمام الفقيه سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير البلقيني الكناني الشافعي، من العلماء الحفاظ، اشتهر اسمه، وعلا ذكره، وظهرت فضائله وبهرت فوائده، توفي سنة (805 هـ) أنظر ترجمته في: (المجمع المؤسس) للحافظ ابن حجر (2/294-311).

15) مقدمة ابن خلدون (ص 497).

16) الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق، توفي سنة (624 هـ) أنظر ترجمته في: (وفيات الأعيان) (3/494) لطيفة: في (الوافي بالوفيات) (2/116) للصفدي قال في ترجمة أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة رحمه الله تعالى، المتوفى سنة (607 هـ) قال: (كتب رقعة: إلى المعظم عيسى، فقيل له: تكتب هذا والمعظم على الحقيقة إنما هو الله تعالى فرمى الورقة من يده، وقال: تأملوها: فإذا هي بكسر الظاء) هـ.

17) عن أبي خلكان، (وفيات الأعيان) (3/494) (تيمور).

18) الجامع الكبير في الفروع، للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني الحنفي المتوفى سنة (187 هـ) أنظر شروحه في: (كشف الظنون) (1/567-570).

19) الجامع الكبير في الفروع، للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني الحنفي المتوفى سنة (187 هـ) أنظر شروحه في: (كشف الظنون) (1/567-570).

20) عن (الفوائد البهية) (ص 249) (تيمور).

21) كان سيف الدين قطز المتولي قبل بيبرس حنفياً ولكن لم يؤثر ذلك في مذهب الدولة لقصر مدته، وزعم السيوطي في (حسن المحاضرة) أنه لم يعرف فيهم غير شافعي سواه (تيمور؟).

22) وذلك في زمن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامي الشافعي المعروف بابن بنت الأعز المتوفى سنة (665 هـ) أنظر: طبقات الشافعية الكبرى (8/319-321).

23) من (صبح الأعشى) وذكر ابن بطوطة في (رحلته) ص 27، أن ترتيبهم بمصر مدة الملك الناصر كان بتقديم الحنفي على المالكي، فلما ولي القضاء برهان الدين بن عبد احق الحنفي أشار على الملك الناصر بجلوس المالكي فوقه كما جرت بذلك العادة القديمة فعمل بإشارته واستمر الأمر على ذلك (تيمور).

24) أي إلى عصر المؤلف.

25) أول من استطعنا معرفته ممن تولى شياخة الأزهر: الشيخ محمد الخرشي المتوفى سنة (1101 هـ) وكان مالكياً، وتولاها بعده الشيخ إبراهيم بن محمد البرماوي الشافعي، وتوفي سنة (1106 هـ)، ثم انحصرت بعده في المالكية إلى سنة (1137 هـ) فانتقلت إلى الشافعية (تيمور).

26) محمد المهدي العباسي بن محمد أمين بن محمد المهدي الكبير الحنفي الأزهري، ولد بالإسكندرية سنة (1243 هـ) تقريباً، تعلم بالقاهرة، تولى إفتاء الديار المصرية ومشيخة الجامع الأزهر ثم عزل عن المشيخة، ثم أعيد إليها، ثم استقال من منصبيه الإفتاء والمشيخة، وتوفي بالقاهرة سنة

(1315 هـ) أنظـر ترجمتـه فـي: (تـراجم أعيـان القـرن الثالـث عشـر) للمصنف (ص 67-80) و (الأعلام) (7/75-76).

27) عن (رفع الأصر) و (الإعلان بالتوبيخ) (ص 189) و (الثغر البسام في قضاة الشام) لابن طولون (تيمور)، انظر ترجمة أبي زرعة في (طبقات الشافعية الكبرة (3/196-198) و (سير أعلام النبلاء) (14/231).

28) أحسن التقاسيم (ص 153-154).

29) (طبقات الشافعية الكبرة) (3/200)، و (الإعلان بالتوبيخ) (ص 189).

30) أحسن التقاسيم (ص 252-253).

31) أحسن التقاسيم (ص 263).

32) أحسن التقاسيم (ص 280).

33) أحسن التقاسيم (ص (126).

34) أحسن التقاسيم (ص 353).

35) أحسن التقاسيم (ص 189-190).

36) الزاهر الحافظ أحد الأعلام أبو الحسن أحمد بن سيار بن أيوب المروزي، تـوفي سـنة (268 هـ)، انظـر ترجمتـه فـي: (طبقـات الشـافعية الكبـرى) (2/183).

37) الثقة الثبت الشيخ أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المـرادي، صـاحب الشـافعي وراويـة كتبـه، تـوفي سـنة (270 هـ)، انظـر ترجمته في (طبقات الشافعية الكبرة) (2/132).

38) أنظر ترجمة عبدان في: (طبقات الشافعية الكبرى) (2/297-298).

39) السخاوي في (الإعلان بالتوبيخ) (ص 190).

40) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق الإمام الجليل، أبو إبراهيم المزني المصري تلميذ الإمام الشافعي، ولد سنة (175 هـ) وتوفي سنة (264 هـ) أنظر ترجمته في: (طبقات الشافعية الكبرى) (93/2-109).

41) أنظر ترجمة الإسفرايني في: (طبقات الشافعية الكبرى) (487/3).

42) أي: السخاوي في (الإعلام بالتوبيخ) (ص 190).

43) الإمام المجتهد أبو يعقوب إسحاق بن مخلد بن إبراهيم بن مطر الحنظلي المروزي، المعروف بابن زاهويه، توفي سنة (238 هـ)، انظر ترجمته في: (طبقات الشافعية الكبرى) (83/2).

44) الإمام الجليل أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي المصري، صاحب الإمام الشافعي، وخليفته على أصحابه توفي سنة (231 هـ)، انظر ترجمته في (طبقات الشافعية الكبرى) (162/2).

45) انظر ترجمة أبي إسماعيل في: (تهذيب الكمال) (242/6).

46) الإمام الكبير أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، شيخ المذهب، وإمام الأصحاب ومقدمهم بعد الذين صحبوا الشافعي، توفي سنة (306 هـ)، أنظر ترجمته في: (طبقات الشافعية الكبرى) (21/3).

47) (معجم البلدان) (117/3).

48) معجم البلدان (197/3).

49) السلطان الكبير غياث الدين أبو الفتح محمد بن سام بن حسين الغوري، توفي سنة (599 هـ) أنظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء) (320/21).

50) نسبة إلى محمد بن كرام السجستاني المتوفى سنة (255 هـ) وقد اختلفوا في ضبط كرام، فقيل بتخفيف الراء وكسر الكاف أو فتحها، وقيل بفتح الكاف وتشديد الراء، وكان محمد صاحب مذهب في العقائد معروف، إلا أن المقريزي ذكر في (خططه) أنه انفرد في الفقه أيضاً بأشياء، منها أن المسافر يكفيه من صلاة الخوف تكبيرتان، وأجاز الصلاة في ثوب مستغرق في النجاسة، وزعم أن العبادات نصح بغير نية وتكفي نية الإسلام !، إلى آخر ما ذكره، مما يدل على أنه صاحب آراء في الفروع ومنه يعلم معنى انتقال غياث الدين من هذا المذهب إلى المذهب الشافعي (تيمور).

51) عن (محاضرة الأوائل) (تيمور).

52) أنظر ترجمته في: (طبقات الشافعية الكبرة) (114/2).

53) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص 190-191).

54) (طبقات الشافعية الكبرى) (130/7).

55) أحسن التقاسيم (ص 195).

56) أحسن التقاسيم (ص 186).

57) أحسن التقاسيم (ص 195).

58) (طبقات الشافعية الكبرى) (377/3-378).

**المذهب الحنبلي:**

نسبة إلى الإمام احمد ابن حنبل الشيباني رضي الله عنه، المولود ببغداد سنة (164 هـ) والمتوفى بها سنة (241 هـ) وقيل: ولد بمرو، وحمل إلى بغداد رضيعاً (1).

ومذهبه رابع المذاهب السنية المعمول بها عند جمهور المسلمين، وكان من خواص أصحاب الإمام الشافعي، أخذ منه ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل إلى مصر.

وكان منشأ هذا المذهب ببغداد، ثم شاع في غيرها، ولكن دون شيوع باقي المذاهب (2).

قال ابن فرحون في (الديباج)، وانا مذهب احمد ابن حنبل رحمه الله فظهر ببغداد، ثم انتشر بكثير من بلاد الشام، وضعف الآن (أي في القرن الثامن) (3).

وقال ابن خلدون: وأما احمد ابن حنبل فمقلده قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد، وأصالته في معاضدة الرواية والاخبار بعضها ببعض، واكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها، وهم أكثر الناس حفظاً للسنة ورواية الحديث (4).

وقد تأخر ظهوره بمصر ظهوراً بيناً إلى القرن السابع، وعلله السيوطي في (حسن المحاضرة) بقوله: (وهم بالديار المصرية قليل جداً، ولم أسمع بخيرهم فيها إلا في القرن السابع وما بعده، وذلك أن الإمام أحمد رضي الله عنه كان في القرن الثالث، ولم يبرز مذهبه خارج العراق إلا في القرن الرابع، وفي هذا القرن ملك العبيديون مصر وأفنوا من كان به من أئمة المذاهب الثلاثة، قتلاً ونفياً وتشريداً، وأقاموا مذهب الرفض والشيعة، ولم يزولوا منها إلا في أواخر القرن السادس،

فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب، وأول إمام من الحنابلة علمت حلوله بمصر: الحافظ عبد الغني المقدسي (5) صاحب (العمدة) (6)، انتهى (7).

وذكر المقريزي في (خططه) (أنه لم يكن له وللمذهب الحنفي كبير ذكر بمصر في الدولة الأيوبية، ولم يشتهر إلا في آخرها) انتهى (8).

ثم زاد انتشاره بها بعد ذلك في زمن القاضي عبد الله بن محمد بن عبد الملك الحجاوي المتولي قضاء قضاة الحنابلة بمصر سنة (738 هـ) كما في (السبل الوابلة) (9).

وذكر المقدسي أنه كان موجوداً في القرن الرابع بالبصرة وبإقليم أقور والديلم والرحاب، وبالسوس من إقليم خوزستان، وأن الغلبة في بغداد كانت له وللشيعة.

وذكر في كلامه على مصر ان الفتيا في زمنه كانت فيها على مذهب الفاطمي إلا أن سائر المذاهب كانت موجودة ظاهرة بالفسطاط قال: وثم محلة للكرامية وحلية للمعتزلة والحنبلية (10).

قلنا: ومهما يكن من انتشاره في كثير من البلدان، فإن مقلديه فيها قليلون في كل عصر، وإلى ذلك يشير الخفاجي (11) في (الريحانة) في ترجمة زين الدين محمد الانصاري الخزرجي (12) بقوله (تفقه على مذهب احمد ابن حنبل، فكان لطلابه سهل المورد، عذب المنهل (وللناس فيما يعشقون مذاهب) (13)، وهم في كل عصر أقل من القليل، وهكذا الكرام كما قيل:

يقولون لي: قد قل مذهب أحمد وكل قليل في الأنام ضئيل

فقلت لهم: مهلاً غلطتم بزعمكم ألم تعلموا أن الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز، وجار الأكثرين ذليل

انتهى (14).

ولم نسمع لهم بغلبة على ناحية إلا على البلاد النجدية الآن، وعلى بغداد في القرن الرابع، واستفحل أمره بها حوالي سنة (323هـ).

قال ابن الأثير في حوادث هذه السنة: (وفيها عظم أمر الحنابلة، وقويت شوكتهم وصاروا يكبسون دور القواد والعامة، وإن وجدوا نبيذاً أراقوه، وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء، واعترضوا في البيع والشراء، ومشي الرجال مع النساء والصبيان، فإذا رأوا ذلك سألوه عن الذي معه: من هو؟ فأخبرهم وإلا ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة، وشهدوا عليه بالفاحشة.

فأرهجوا بغداد، فركب بدر الخرشني، وهو صاحب الشرطة عاشر جمادى الآخرة، ونادى في جانبي بغداد في أصحاب أبي محمد البربهاري (15) الحنابلة أن لا يجتمع منهم اثنان ولا يتناظرون في مذهبهم).

إلى أن قال: (فلم يفد فيهم، وزاد شرهم وفتنتهم، واستظهروا بالعميان الذين كانوا يأوون المساجد، وكانوا إذا مر بهم شافعي المذهب أغروا به العميان، فيضربونه بعصيهم حتى يكاد يموت، فخرج توقيع الراضي بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم إلى آخر ما ذكره (16).

ولا ريب في أن إثارة أمثال هذه الفتن لم تكن إلا من عصبية عامتهم وغوغائهم، وكثيراً ما كانت ترجع إلى أمور اعتقادية يخالفهم غيرهم فيها، لانفراد أصحاب ها المذهب بعقيدة خاصة في الأصول.

وذكر التاج السبكي في (الطبقات) أن أكثر فضلاء متقدميهم كانوا أشاعرة، لم يخرج منهم من عقيدة الأشعري إلا من لحق بأهل التجسيم، قال: وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم (17).

**الهوامش:**

1) أنظر ترجمة الإمام أحمد في حلية الأولياء (161/9-233) و تاريخ بغداد (412/4-423) وسير أعلام النبلاء (177/11-358)، والمدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد ابن حنبل لبكر أبو زيد (321/1-419) وقد أفردت في ترجمته وسيرته كتب جمة منها: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي المتوفى سنة (597 هـ) مطبوع.

2) عن (الفوائد البهية) (تيمور).

3) (الديباج المذهب) (ص 13).

4) (مقدمة ابن خلدون) (ص 496-497).

5) الإمام العالم الحافظ الكبير تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي، ثم الدمشقي الصالحي، توفي سنة (600 هـ) أنظر ترجمته في (سير أعلام النبلاء) (443/21-471).

6) كتاب (العمدة في الأحكام في معالم الحلال والحرام عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام) مطبوع متداول

7) (حسن المحاضرة) (370/1).

8) (الخطط) للمقريزي (161/4).

9) عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الباقي الحجاوي المقدسي أبو محمد، موفق الدين، قاضي القضاة بالديار المصرية، ولد سنة (691 هـ)، وتوفي سنة (769 هـ) أنظر ترجمته في (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة) (655/2).

10) (أحسن التقاسيم) (ص 172).

11) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الشافعي ولد سنة (977 هـ) وتوفي سنة (1069 هـ) أنظر ترجمته في: (خلاصة الأثر) للمحبي (334/1-343).

12) محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصاري، الجزيري القاهري زين الدين كاتب أمير الحج المصري، ولد سنة (880 هـ) وتوفي سنة (944 هـ)، أنظر ترجمته في (ريحانة الأنباء) (163/2) و (السحب الوابلة) (944/3).

13) هو عجز بيت صدره. (نعشقتها شمطاء شاب وليدها).

14) هذه الأبيات لعبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري المتوفى سنة (977 هـ) كما في (السحب الوابلة) (946/3).

15) شيخ الحنابلة القدوة الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، توفي سنة (328 هـ) أنظر ترجمته في: (سير اعلام النبلاء) (90/15-93).

16) الكامل في التاريخ (307/8-308).

17) (طبقات الشافعية الكبرى) (378/3).

**الخاتمة:**

أخذت المذاهب الأربعة تتغلب مع الزمن، وغيرها من المذاهب السنية يدرس، حتى إذا كان القرن السابع تم لها التغلب والتمكن وأفتى الفقهاء بوجوب اتباعها، فدرس ما عداها إلا بقايا من الظاهري بقيت في بعض البلاد إلى القرن الثامن، ثم درست كما قدمنا.

قال المقريزي: (فلما كانت سلطنة الملظ الظاهر بيبرس البندقداري ولي بمصر والقاهرة (1)، أربعة قضاة، وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي، فاستمر ذلك من سنة خمس وستين وستمئة حتى لم يبق في مجموع أمصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة وعقيدة الأشعري، وعملت لأهلها المدارس والخوانك (2)، والزوايا والربط في سائر ممالك الإسلام.

عودي من تمذهب بغيرها، وأنكر عليه، ولم يول قاض ولا قبلت شهادة أحد، ولا قدم للخطابة، والإمامة، والتدريس أحد، ما لم يكن مقلداً لأحد هذه المذاهب، وأفتى فقهاء هذه الامصار في طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب، وتحريم ما عداها والعمل على هذا إلى اليوم انتهى (3).

ولا ريب في ان المراد: عند جمهور المسلمين وإلا فمذهب الأباضية (4)، كان ولم يزل معمولاً به في بلادهم شرقاً وغرباً، وفقه الشيعة معمول به في فارس وغيرها من البلدان.

وفي قوله: (وعقيدة الأشعري) نظر، لان الحنفية يتبعون في الأصول عقيدة الماتريدي، إلا ان يكون عدهم من الأشعرية بالمعنى الذي أراده التاج السبكي وسبق لنا بيانه، وكأنه لم يعتد بالحنابلة لقلتهم، مع ان لهم عقيدة خاصة كما قدمنا.

ولنختم هذا البحث بمبلغ انتشار هذه المذاهب عند جمهور المسلمين مستندين في الكثير منه على مصادر إفرنجية لقلة الموجود منها بالعربية، فنقول:

الغالب على المغرب الأقصى الآن المذهب المالكي، وهو الغالب أيضاً على الجزائر وتونس وطرابلس، لا تكاد تجد فيها من مقلّدي غيره، إلا الحنفية بقلة، وهم من بقايا الأسر التركية وأكثرهم في تونس، ومنهم أفراد بيت الإمارة بها، ولهذا تمتاز حاضرتها بالقضاء الحنفي مشاركاً للقضاء المالكي، وأما سائر اعمالها فقضاتها مالكية، وفي الحاضرة كبيراً المفتين وهما الحنفي ويلقب بشيخ الإسلام، وله التقدم والزعامة المعنوية على الجميع، والممالكي وله المقام الثاني، وقد تساهلوا الآن في تلقيبه بشيخ الإسلام أيضاً.

ومع قلة المقلدين للمذهب الحنفي فإن من السنن المتبعة عندهم أن يكون نصف مدرسي جامع الزيتونة حنفية، والنصف مالكية وإنما امتاز الحنفي بذلك لكونه مذهب الأسرة المالكة.

ويغلب في مصر الشافعي والمالكي، الاول في الريف والثاني في الصعيد والسودان، ويكثر الحنفي، وهو مذهب الدولة، والمتبع في الفتوى والقضاء والحنبلي قليل بل نادر، ويغلب الحنفي في بلاد الشام، يكاد يشمل نصف اهل السنة بها، والربع شافعية، والربع حنابلة.

ويغلب الشافعي على فلسطين، ويليه الحنبلي فالحنفي فالمالكي.

ويغلب الحنفي على العراق، ويليه الشافعي، وبه مالكية وحنابلة.

والغالب على الأتراك العثمانيين والألبان وسكان بلاد البلقان الحنفي، وعلى بلاد الأكراد الشافعي، وهو الغالب على بلاد أرمينية لان مسلميها من أصل تركماني أو كردي.

والسنيون من أهل فارس اغلبهم شافعية، وقليل منهم حنفية.

والغالب على بلاد الأفغان الحنفي، ويقل الشافعي والحنبلي وعلى تركستان الغربية التي منها بخارى وخبوة: الحنفي: وأما تركسنات الشرقية المسماة أيضاً بالصينية، فكان الغالب عليها الشافعي، ثم تغلب الحنفي بمسعى العلماء الواردين عليها من بخارى.

والغالب على بلاد القوقاز وما والاها الحنفي، وفيهم شافعية.

والغالب في الهند الحنفي، ويقدر أتباعه بنحو 48 ألف ألف، وأتباع الشافعي بنحو ألف ألف، ويكثر بها أهل الحديث والآثار وفيها مذاهب اخرى مما لم نتعرض لذكره.

ومسلمو جزيرة سرنديب (سيلان) وجزائر الفلبين والجاوة وما جاورها من الجزائر شافعية، وكذلك مسلمو سيام، ولكن بها حنفية بقلة، وهم النازحون إليها من الهنود.

ومسلمو الهند الصينية شافعية، وكذلك مسلمو أسترالية.

وفي البرازيل من أميركة نحو 25 ألف مسلم حنفية، وفي البلاد الأمريكية الاخرى مسلمون مختلفو المذاهب وتبلغ عدة الجميع نحو 140 ألفاً.

والغالب على الحجاز الشافعي والحنبلي، وفيه حنفية ومالكية في المدن، وأهل نجد حنابلة، واهل عسير شافعية.

والسنيون في اليمن وعدن وحضر موت شافعية أيضاً، وقد يوجد بنواحي عدة حنفية.

والغالب على عمان مذهب الإباضية، ولكنها لا تخلو من حنابلة وشافعية، ويغلب على قطر والبحرين المالكي، وفيهما حنابلة من الواردين عليهما من نجد.

والغالب على أهل السنة في الأحساء الحنبلي والمالكي والغالب على الكويت المالكي والله أعلم.

**الهوامش:**

1) المراد بمصر: (الفسطاط) وكانت منفصلة عن القاهرة، ثم اتصلت بها بعد ذلك وصارت قسماً من أقسامها يعرف اليوم، بقسم مصر العنيقة (تيمور).

2) مفردها (خامقاه) رباط الصوفية معرب مولد استعمله المتأخرون (شفاء الغليل فينا في كلام العرب من الدخيل) (ص 129).

3) (الخطط) للمقريزي (161/4).

4) الإباضية ينتسبون في مذهبهم – حسبما تذكر مصادرهم إلى جابر بن زيد الأزدي الذي يقدمونه على كل احد ويروون عنه مذهبهم، وهو من تلاميذ ابن عباس رضي الله عنه، وقد نسبوا إلى عبد الله بن إباض لشهرة مواقفه مع الحكام واسمه عبد الله بن يحيى بن إباض المري من بني مرة بن عبيد، وينسب إلى بني تميم، وهو تابعي، عاصر معاوية وابن الزبير وكانت له آراء واجه بها الحكام، وهذا هو اسمه المشهور عند الجمهور، أنظر: ما كتبه أحد علمائهم المعاصرين، بكير بن سعيد اعوشت في كتابه (دراسات إسلامية في الأصول الإباضية) (ص 20).

**ملحق في:**

**أماكن انتشار القراءات اليوم**

رواية حفص الدوري عن أبي عمرو البصري: هي الرواية الاكثر ذيوعاً في السودان، وتشاد ونيجيريا، وأواسط أفريقية بصفة عامة.

رواية ورش المصري عن نافع المدني، وهي الرواية المنتشرة في بلاد المغرب العربي (الجزائر والمغرب وموريتانيا)، وفي السنغال وبعض نواحي مصر وليبيا وتشاد وتونس، وهي الرواية التي كان لها الانتشار في القرون الأولى في مصر، ومنها انتشرت إلى تلك البلدان.

رواية قالون عن نافع: شائعة في ليبيا وفي بعض القطر التونسي، وبعض القطر المصري: ذكر ذلك ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير).

رواية حفص عن عاصم: كانت رواية نادرة الوجود حتى نشرها الأحناف وبخاصة العثمانيين، وقد انتشرت في جميع المشرق، وغالب البلاد المصرية، والهند، وتركيا، والأفغان.

**ملاحظة:**

كانت الرواية المنتشرة في مصر منذ الفتح الإسلامي إلى أواخر القرن الخامس الهجري، هي قراءة أهل المدينة، خاصة برواية ورش عثمان بن سعيد المصري عن نافع المدني، ثم حلت محلها قراءة أبي عمرو بن العلاء برواية الدوري، واستمر العمل عليها في قراءة الناس وكتابة المصاحف حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري، ثم حلت محلها رواية حفص عن عاصم، فرواية حفص لم تنتشر في مصر إلا مع دخول العثمانيين في أوائل الربع الثاني القرن العاشر الهجري (أوائل القرن السادس عشر الميلادي).

أنظر (الإضاءة في بيان أصول القراءة) للشيخ علي الضباع ص 72.

**فهرس الموضوعات:**

**الإهداء**

**مقدمة**

**ترجمة المصنف احمد تيمور**

**(كلمة السيد محب الدين الخطيب)**

**نظرة تاريخية في حدوث المذاهب وانتشارها**

**المذهب الحنفي**

**المذهب المالكي**

**المذهب الشافعي**

**المذهب الحنبلي**

**الخاتمة**

**ملحق في أماكن انتشار القراءات اليوم**